5
غموض علمي
عدد خاص
ضياع في عوالم موازية
حمزة فهد زايد
رواية

غموض علمي

الخيال والعلم والرّعب يلتقون معًا في حكايات فريدة

العدد الخامس

ضياع في عوالم موازية

حمزة فهد زايد

كتوبيا للنشر والتوزيع

إهداء

إلى ميرنا حمدان ابنة أختي

صاحبة الابتسامة البريئة والقلب الحنون

كم أتمنى لو كان هناك المزيد من الوقت...

وداعًا يا طير الجنة

والحمد لله دائمًا وأبدًا

رسالة من الكاتب إلى القارئ

عزيزي القارئ الجديد على السلسلة...

يجب أن تعلم أن السلسلة تختلف عن باقي السلاسل التي قراءتها، فهي مكونة من قصص منفصلة تربطها حكاية طويلة مستمرة منذ العدد الأول، أنصحك بالبدء من البداية، في المقابل تستطيع البدء بهذا العدد إن تجاوزت الملخص وتوجهت للفصل الأول وابحث هناك عن شارة البدء للقراء الجدد، كلّ ما تحتاج معرفته هو أن هناك رجلًا اسمه مازن قد انتقل إلى عالم آخر... وأرجو ألا تلومني على التفاصيل القليلة التي لن تتضح لك...

عزيزي القارئ الذي وصل هنا عن طريق الصدفة ولا يعرف شيئًا عن السلسلة... هذه ليست رواية اجتماعية أو سيرة حياة سياسي أو كتابًا فلسفيًّا أو كتابًا علميًّا بحتًا... هذه رواية خيال علمي أحاول أن أضع فيها معلومات علمية حقيقية بقدر المستطاع مع الحفاظ على عنصر التشويق في الرواية... أكرر... هذه رواية خيال علمي وهذا يعني أنها مليئة بالخيال، وموجهة لأصحاب الخيال الخصب!

عزيزي القارئ المتابع للسلسلة من البداية...

أشكرك على صبرك على صدور هذا العدد، أعتذر عن التأخر في إنهائه فلقد مررّت بظروف قاسية جعلتني غير قادرٍ على الكتابة لفترة، في المقابل انتهى العدد بحمد الله وبشكل أفتخر به للغاية، وأعتقد بأنك ستحب ما ستقرؤه وسوف تراه مختلفًا فريدًا ومشوقًا.

ملخص السلسلة (1)

يجد مازن نفسه مع أشخاص آخرين من دون أيّة ذكريات في سفينة «سيلنايز» القادرة على اختراق الأبعاد والسفر لبعد نسيج الزمن، ذلك البعد حيث توجد كل خطوط الزمن لجميع العوالم الموازية...

يلتقي مازن ورفاقه بإكزافير الذي يدعي بأنه آخر بشري وأنه قادم من أطول خط زمني، والذي بدوره يخبرهم بأنه يستطيع إرجاع كلّ شخص لعالمه إن وجد ذكرياتهم وبالتالي الثغرة التي انتقلوا منها للسفينة.

يخوض مازن مغامرة فريدة من نوعها لكشف حقيقة وحكاية كلّ شخص ورؤية الأحداث الغامضة التي جعلتهم يأتون لهذا المكان!

عُثِر على أشخاص داخل السفينة، وهم:

مازن: رجل في نهاية الثلاثين من العمر، هادئ ورزين وعقلاني، أثار اهتمام إكزافير بسبب تأقلمه السريع مع انتقاله لبعد نسيج الزمن، أعطاه إكزافير جهازًا لأنه شعر بقدوم خطر ما، وأخبر إكزافير مازن بأنه ذو أهميّة لأن له علاقة بالعلم المفقود.

إكزافير: بشري من المستقبل ذو ملامح حادة وشعر طويل يخفي خلفه أسلاكًا متداخلة في عنقه، تختلف بنيته عن مازن ورفاقه بسبب تعديلات جينية على مدى عقود للبشر في المستقبل، فهو أطول بمرتين على الأقل منهم، وذراعاه بطول جسده، إحداهما آلية، ويستطيع التحكّم بالأشياء من خلال أفكاره.

عبير: فتاة لطيفة في العشرين من العمر، حدث لها الكثير من المشاكل بسبب تطبيق اسمه شيطان لابلاس والذي يقوم بتوقع المستقبل بدقّة، وقد عادت إلى عالمها.

فراس: شاب بعمر السابعة عشرة، قصته لها علاقة بقصة عبير بشكل ما!

كارمن: امرأة ذات شعر أحمر ناري في نهاية الثلاثين من العمر (هكذا تقول بالرغم من أنها تبدو أكبر من ذلك بكثير) ترتدي بذلة أعمال أنيقة.

لينا: شابة، ذات منظر جذاب وشخصية حادة انعزاليّة، يبدو أنها في بداية الثلاثين من العمر وذات شعر طويل ذي لون أسود وكانت تحمل دفتر مذكرات صغير بيدها ترفض أن تريه لأحد!

رشيد: طبيب جراحة وقور في نهاية الأربعين، تدعي كارمن أنها وجدته يتحدّث مع نفسه بلغة غير مفهومة.

خالد: شاب نحيل متوجّس ذو عيونٍ مسودة كأنه لم ينم منذ أيام وملابسه ممزّقة ويبدو كمتسّول، ويتصرّف بشكل مريب وعدائيّ مع الجميع، تبين أنه يخفي مسدسه في جيبه، وقد قام بإرسال مازن، فراس، كارمن، ريم ومارك إلى عوالم غامضة، حكايته السابقة لها علاقة بنشأت جيل جديد من حشرات الدبور الطفيلي.

طلعت: شاب في الثلاثين من العمر، مغمى عليه ولم يستيقظ، وجد رشيد ورقة في جيب طلعت مكتوب عليها - النزيل طلعت، مصاب بمرض التوهّم، الحالة النفسية خطيرة.

مارك: شاب وسيم لكنه يبدو كمن خرج من معركة بقميصه الممزّق وجروح في كلّ مكان من جسمه.

ريم: فتاة جميلة ذات ملامح شرقية بِرداء أزرق أنيق، منذ أن وصلت بعد نسيج الزمن لم تتوّقف عن الارتجاف من الخوف.

سيلناير: سفينة عملاقة وجدها إكزافير بعد تضحيات كبيرة، مليئة بالأسرار ولم يستطع إكزافير اكتشاف إلا أقل

من ٣٠ ٪ منها بسبب ضخامة السفينة ووجود أبواب مغلقة غير قابلة للفتح وانهيارات في غرف أخرى، يخفي إكزافير سرًا لا يريد أن يكشفه أحد في طابقٍ أسفل مختبره، ويجهل إكزافير بالرغم من العلم الكبير الذي يمتلكه مَنْ هم صُناع السفينة وأين اختفوا؟!

نسيج الزمن: مكان لا يستطيع استيعابه العقل البشري، أشبه بأنهار تتحرّك في كل الاتجاهات فيما يشبه شبكة عنكبوت ثلاثيّة الأبعاد فيها كلّ الأزمنة والعوالم الموازية.

ازدادت التساؤلات والغموض عند مازن ولخصّها بالتالي:

- هل إكزافير صادق فيما يقول؟ هل يستطيع مازن أن يثق به؟

- ما قصة تلك الجثث التي أخبرته عنها كارمن؟

- كيف وصل إكزافير إلى هذا البعد؟

- لماذا لم يبحث إكزافير في كامل أرجاء السفينة وأوقف البحث؟

- ما غاية إكزافير من التواجد في هذا المكان؟ عما يبحث؟

- لماذا يصرّ على منع الجميع من البحث في الغرف الأخرى

وبالأخص في الطابق السفلي من السفينة؟ ما الذي يخفيه هناك؟

- من صانع سفينة سيلناير؟ لم يكن إكزافير! وأين اختفى صانعو السفينة، هل... قتلهم إكزافير؟!

- الشاب المغمى عليه... طلعت، قال قبل أن يغمى عليه: «إنهم هنا أيضًا.... تبعتني هذه الأشياء إلى هنا!»، وكان ينظر إلى الفراغ، عما كان يتحدّث؟

- لينا أيضًا تخفي شيئًا، لا بد أن هناك سرًا في دفتر مذكراتها، أنها تتصرّف بعدائية لا مبرر لها.

- قالت كارمن أيضا أنها وجدت رشيد يتكلّم مع نفسه بلغة غير مفهومة، هل كانت تتخّيل أم هو مصاب بمرضٍ ما؟

- ماذا سيحدث في عالم عبير؟ وما الذي سيحدث في عالمها بعد الفترة التي حددها تطبيق شيطان لابلاس؟!

- لماذا أخذ إكزافير الجوهرة من هاتف عبير؟!

- ما دور الجهاز الذي أعطاه إكزافير لمازن حين شعر بالخطر من خالد أول مرة؟

- لماذا يتصرّف خالد بغرابة وعدائية؟ ما الذي يخفيه عن

الآخرين؟

ملخص العدد السابق:

يكتشف خالد أن العودة إلى عالمه يعني الموت الأكيد، فيرفض العودة ويقوم بتهديد إكزافير والآخرين بمسدسه، وفي أثناء محاولة إكزافير لإيقافه، يطلق خالد النار لتخترق الطلقة جبهة إكزافير، بعد ذلك أجبر مازن، مارك، فراس، كارمن وريم أن يدخلوا إلى الجهاز الذي استخدمه إكزافير لإرسال ريم إلى عالمها، أي أنه يستطيع إخراج مستخدمه من بُعد نسيج الزمن، وبعد محاولات فاشلة لإيقاف خالد، استطاع خالد أن يرسل كلّ واحدٍ منهم على حدا إلى عالم مجهول مختلف.

الفصل الأول: عالم الصمت القاتل

ما جرى كان فظيعًا، لقد جنّ جنون خالد، أمسك مسدسه وقام بقتل إكزافير، ثم أجبر من كان معه ومن ضمنهم أنا على الدخول إلى جهاز لنقل الجسد إلى زمان ومكان ما، لقد استخدم إكزافير هذا الجهاز لإعادة عبير إلى عالمها، أما نحن فقد ألقى بنا في عوالم مختلفة عشوائية، حاولنا أن نقاوم لكن دون جدوى، فخالد يتقن استخدام السلاح بسبب خبرته، لقد كنت أنا آخر من دخل الجهاز، ضغط خالد على زر تشغيل الجهاز وعبر عن مقدار مقته لي حين ودعني بكلماته الأخيرة:

- «وداعًا يا مازن، أتمنى لك عالمًا مليئًا بالرعب!»

كان المشهد أمامي يتلاشى، كلّ الألوان تضمحل وتختلط ببعضها البعض، لتكوّن لوحات سريالية، الأمر يختلف كليًا عن عمليّة نقل الوعي التي عشت بها حكاية سعد وعبير وعصام وغيرهم، هذه المرّة أنا أتمزّق لكن من دون ألم، أتحوّل إلى قطعٍ صغيرة فأصغر في حلقة لانهائية لأصبح مليارات الذرات تطفو وتحلّق بسرعة جنونية، لأجد نفسي أحلّق بين النجوم والمجرات...

أشعر بأن التسارع يزداد، الأمر مخيف، أنا أشاهد خطوط الضّوء تتسابق من حولي، ثم في لحظة أصبحت بسرعتها ثم تجاوزتها، لحظات من الهلع الجنوني ثم توقف كلّ شيء وبدأت الذرات تتجمّع وتلتصق ليتكون جسدي من جديد!
(2)

كنت خائفًا من أن أفتح عينيّ، أشعر ببرودة من الجو المحيط، في النهاية تمالكت نفسي وفتحت عينيّ، أنا غارق بين طبقات من الضباب الكثيف الذي صنع جدارًا يمنع الرؤية، والسكون القاتل يهيمن على المكان...

أنفاسي تتسارع من الخوف، الخوف من المجهول... أنا وحيد في مكان لا أعرف أدنى شيء عنه!

يجب أن أتحرك، لن يفيدني البقاء ثابتًا، مشيت عدة خطوات وفي كل خطوة كانت قدمي تغوص في أرض طينية بضع سنتيمترات وتصدّر صوتًا مقززًا رطبًا في كلّ مرة...

استمر المشهد ذاته لمدة تتجاوز الساعة، ثم انزاحت بعض طبقات الضباب لتظهر بعض الظلال السوداء... صرخت في هستيرية:

- «هل من أحد هنا؟ أرجوكم ساعدوني!»

لكن الإجابة كانت صمتًا مخيفًا، اقتربت بحذر من تلك الظلال، إنها أبعد مما تصّورت، تقدّمت خطوات أخرى لتظهر أنها مجرد أشجار سوداء ضخمة الجذوع...

ما هذا المكان الموحش الكئيب؟! ألا تعيش فيه كائنات حية؟!

هل هذا العالم الذي سأعيش فيه ما تبقى من حياتي!

أنا ضائع في هذا المكان! ولا يوجد طريقٌ للعودة!

سيطر عليّ الرعب وأسرعت خطاي علّي أجد مخرجًا من غابة الضباب هذه التي بدأت أُومن بأنها لا تنتهي!

كررت صراخي الخائف الهستيري:

- «هل من أحدٍ هنا؟!»

نظرت إلى يدي، أنا أرتجف... قلت لنفسي محاولًا تهدئتها:

- «تمالك نفسك يا مازن! الخوف والهلع لن يفيدا بشيء»

أكملت السير من دون توقف... بينما البرد يخترق عظامي...

والجوع يتصاعد...

أحتاج لطعام ولمكان دافئٍ أنام به!

لكن أين أجد هذا في غابة الموت هذه؟!

هل سأموت من الجوع أو البرد هنا؟!

وضعت يدي في جيوبي أبحث عن شيء قد يساعد، شيء يصلح كطعام أو لإشعال النار به!

هناك جسم صلب، أخرجته من جيبي... ما هذا؟

جهاز بحجم الكف يبدو كلوح زجاجي شبه شفاف داخل إطار معدني...

من أين حصلت عليه؟!

عدت بالذكريات إلى الخلف...

لحظة... تذكرت! إنه الجهاز الذي أعطاني إياه إكزافير بعد أن شاهدنا ردة فعل خالد العنيفة أول مرة وشعر إكزافير بالخطر منه...

لقد نسيت أنه موجود في جيبي بسبب الخوف والتوتر!

أتذكر محادثتي مع إكزافير، لقد أخبرني بأن أحتفظ بالجهاز لأنه سوف يفيدني فيما بعد، سألته عن فائدة الجهاز لكنه قال أنني سوف أدرك فائدة الجهاز حين يحين الوقت

المناسب لذلك.(3)

هل كان يقصد بالوقت المناسب هذا الوقت؟!

إن كان هذا صحيحًا، فهل كان إكزافير يتوقّع أن يحدث ما حدث من موته وانتقالي إلى عالم مختلف؟!

لا أعلم، وهذا ليس الوقت المناسب للتفكير...

ضغطت على شاشة الجهاز... صدر منه ضَّوء خافت ثم بدأ بالعمل!

لقد كان الجهاز متوقفًا لا يعمل حين أعطاني إياه إكزافير...

وحاولت سابقًا في بُعد نسيج الزمن أن أشغله بشتى الطرق... حتى أنني استسلمت وظننت أنه تالف!

ربما الأمر له علاقة باختلاف القواعد الفيزيائية بين بُعد نسيج الزمن وهذا المكان..

المهم الآن أنه يعمل، دققت في شاشة الجهاز، خرجت كلمات برموز غريبة، والأغرب أنني استطعت فهمها، «بوصلة النجاة»!

تبع ذلك خروج أشكال، كمثلث صغير الحجم أزرق اللون في المنتصف، ونقطة دائرية حمراء في مكان آخر قرب

طرف الشاشة من الأسفل ومن الدائرة الحمراء يمتدّ خطّ أبيض للأسفل، بينما هناك أرقام أعلى الشاشة كأنها ساعة، الوقت ١١:٣٦:٤٩، والعدّ بها تنازلي، فوق العد التنازلي عبارة بخط صغير «**الأمل الأخير قبل...**»

انتظرْ قليلًا...

ماذا لو... كان هذا الجهاز خريطة!

إن كانت هذه الفرضية صحيحة، فأعتقد أن موقعي هو المثلث الأزرق الموجود في المنتصف، كيف سأتأكد من هذا؟! هذا سهل، بدأت بالحركة في الأرجاء والدوران في مكاني...

أجل! المثلث يستدير على الشاشة أيضًا، إذن الأمر أشبه بجهاز تحديد الموقع GPS... أهذا يعني أنني يجب أن أصل للنقطة الحمراء؟!

يبدو أن الخلاص موجود في موقع النقطة الحمراء!

ماذا عن العدّ التنازلي؟

أعتقد أنني سوف أخسر أمل العودة إن انتهى الوقت!

حسنًا إذن، لقد فهمت قواعد اللعبة... يجب أن أصل للنقطة الحمراء قبل انتهاء الوقت...

تابعت السير وسط الغابة الضبابية، بينما ألقي نظرة إلى شاشة الجهاز من وقت لآخر...

المثلث الأزرق في مكانه، بينما النقطة الحمراء تبتعد قليلًا كلما مشيت مسافة!

أنا أبتعد.. استدرت وبدأت المشي في الاتجاه الصحيح!

أرجو أن يساعدني الجهاز على الخروج من هذا القفص الضبابي قبل أن أموت من البرد أو الجوع...

لم أستطع أن أتوقف عن التفكير فيما سأجده عند تلك النقطة...

مهما كان هناك، فأنا أدين بالشكر لإكزافير، لقد زرع الأمل في روحي حين اقتربت من الموت يأسًا...

بعد أن أمضيت ساعتين في المشي من دون توقف! لاحظت أن حاجز الضباب قد أصبح أرقّ!

تابعت السير بحماس والأمل يتصاعد في داخلي إلى أن خرجت من الغابة...

الحمد لله، لقد خرجت من ذلك الضباب اللعين واتضح المشهد أمامي!

الشمس على وشك الغروب وأمامي العديد من الأشجار الكئيبة الذابلة ذات الجذوع الضخمة... يسيطر اللون الرمادي والأسود على باقي الألوان هنا...

بين الأشجار يوجد حبال تتأرجح بين الأشجار ومثبت عليها أشياء بحجم الأصبع منكمشة ومجففة، يبدو أنها فاكهة أو خضار أقرب لقرون فلفل مختلف الأحجام وبلون أحمر قاتم مائل للبني والأسود، ربما هي زينة معينة لإضفاء ألوان للمكان!

في البداية كنت جائعًا وهممت بأن أتناول بعضًا منها، لكن فكرة أن هناك من قام بوضع تلك الأشياء على الحبال لتجفيفها جعلني أسرع بالتقدّم... هناك حضارة بشرية بالقرب من هنا وقد أجد المأوى عندهم... سأهتم بالجوع لاحقًا، الآن يجب أن أجد بشرًا قبل أن أجنّ أو أموت...

لاحظت أنني كلما تقدّمت أن عدد الحبال المثبت عليها تلك الفواكه المجففة (أو مهما كانت) يزداد...

الجيد أنني أسير بنفس وجهة النقطة الحمراء وقد قطعت مسافة جيدة نحوها منذ أن بدأت السير من منتصف غابة الضياع إلى هذا المكان...

ثم ظهر في الأفق جرفٌ مرتفع عملاقٌ في نهايته شلال، على جدار الجرف يوجد حفرٌ كثيرة اقتربت أكثر وأدركت أنها كهوف! العشرات وربما المئات منها! إذن لا بد من أن جزءًا من هذه الحضارة البشرية يعيشون في الكهوف! ربما يجب ألا أتفاءل كثيرًا وأحافظ على حذري، فربما هم ليسوا متحضرين!

اقتربت بحذر وأنا أنظر إلى أين يصب الشلال، إنه يسقط في حفرة سرمدية لا أرى لها قاعًا!

كان ذلك مريبًا، لكن ليس بقدّر ذلك العجوز الذي خرج من أحد الكهوف، عجوز شاحب اللون مترهل الجلد، يرتدي من الملابس فقط ما يستر عورته من جلد الحيوانات، وشعره أبيض مشعّث، توقفت عن السير، شكل العجوز لا يبشّر بالخير... لكن لا يجب أن تحكمَ على الكتاب من غلافه...

مشيت نحوه وأنا أشعر بتوجس، رآني ففتح عينيه اللتين غطتهما غشاوة باللون الأبيض ثم ابتسم لي ابتسامه خاوية مريبة أظهرت أنه لا يمتلك أية أسنان، ابتلعت ريقي ثم قلت:

- «مرحبًا، أنا ضائع و...»

تراجع العجوز في حركة انفعالية غير متوقّعة وانقلبت

الابتسامة إلى علامات الذعر على وجهه المخيف، فتح فاه الخاوي من أي شيء كأنه ثقب أسود ثم وضع أصابعه في فمه وهو يشير بيده الأخرى نحوي في حركات متشنّجة بينما تتعالى صرخة رعب حيوانية منه جعلت قلبي يسقط من مكانه!

كنت أتلعثم وأقول مرتجفًا:

- «أرجوك، أنا لا أريد سوى القليل من الطعام ومأوى ليله واحدة!»

لكن الرجل لم يتوقّف وازدادت تشنجاته وعلت صرخته، ليخرج من الكهوف رجال ممتقعةٌ وجوههمٌ وبأيديهم حجارة مدببة الرأس، بالطبع الأمر لن ينتهي على خير إن بقيت مكاني، تراجعت للخلف وأطلقت لساقيّ المرتجفتين العنان..

بدأ الرجال بملاحقتي وهم يصرخون كالغوريلات المسعورة!

إلهي! لقد عدت إلى ماضٍ سحيق! ماضٍ فيه البشر بدائيون يتصرّفون كالوحوش!

لقد اعتبروني دخيلًا والآن يريدون القضاء عليّ!

إنهم أسرع مني وأصبحت أرى ما تبقى من حياتي يتقلّص

بتسارع بينما المسافة القليلة التي تفصلنا عن بعض أيضًا تتقلّص.

سوف يمسكون بي، وإن حدث هذا فأنا ميتٌ لا محال! ما هي إلا ثوانٍ قليلة وسوف يحدث هذا!

هيا يا ساقاي، أسرعا! لماذا لم تعودا تصغيان لي؟! أعلم أنني لا زلت متعبًا من بعد أن خرجت من تلك الغابة لكن يجب أن تسرعا وإلا انتهى كلّ شيء!

كانت أشعة الشمس وهي تغرب قد أعمت عيني، وكأن هذا العالم بأجمعه يريدني أن أموت! أغمضت عينيّ وحاولت جاهدًا أن أسرع أكثر دون جدوى...

هنا توقفت صرخات الغضب فجأة وتحولت الأصوات خلفي إلى أصوات اصطدام وسقوط تلاها صرخات ألم، لقد ابتعدت عنهم، لكن ماذا حدث؟

أبطأت سرعتي قليلًا وتلفت للخلف... الرجال قد سقطوا على الأرض!

توقفت لاهثًا وأنا أخذ أنفاسًا متسارعة مرتفعة الصّوت، كنت أريد أن أفهم ما الذي حدث بينما ألتقط أنفاسي، لاحظت وجود فخٍ من حبال المشدودة على الأرض، لقد

عبرت من تلك النقطة، لا بد من أنه قد تمّ شدّ الحبال فور أن مررت من فوقهم... من فعل هذا؟!

هناك منهم واحد لم يسقط وقفز فوق الحبل، لم يكن معي الوقت الكافي لأتصرف، أمسكني الرجل ورفعني فوق سطح الأرض وصرخ صرخة غاضبة في وجهي!

وسط خوفي لاحظت أن فمه لا يحتوي على لسان!

ثمّ فجأة سمعت صوت ارتطام وارتخت ذراع الهمجي الذي سقط على الأرض!

هناك من ضربه بحجر كبير على رأسه!

من دون سابق إنذار... أمسكت بي يدٌ صغيرة وبدأت تشّدني! صرخت من الهلع... وتلفت نحو صاحب اليد!

كان فتىً صغير العمر ذا شعر أسود أطول منه وبوجهٍ بريءٍ شاحب اللون، وفهمت أنّه يريدني أن أتبعه...

أهو من قام بإسقاط الرجال باستخدام فخ الحبال وضرب الأخير على رأسه؟!

كان الرجال شاحبي الوجه يزأرون كالغوريلات بصوت غاضبٍ أعلى وقد بدأ بعضهم بالوقوف!

في اللحظات الأخيرة قبل أن أعاود الركض، وقبل أن أدير وجهي للأمام كانت الشمس قد أسقطت أشعتها الأخيرة على وجوه أولئك الرجال الذين كانوا يصرخون بوحشية... هنا انتبهت إلى شيء مرعب...

كان فم الأول خاليًا من لسان والثاني كذلك و...

جميعهم لا يمتلكون ألسنة!

شدّ الفتى يدي مرة أخرى، لا أظن أنني أملك رفاهية التفكير بما حدث لألسنتهم الآن!

ركضت مسرعًا خلف الفتى، كان يتجه نحو جزءٍ من الغابة مختلف عما كنت ضائعًا فيها، هذا الجزء يحتوي الكثير من الأشجار المتلاصقة، ولهذا نحن نسير في خطوط متعرّجة بين هذه الأشجار، وأنا أحاول كل جهدي ألا تزداد المسافة بيني وبين الفتى، وألا أرتطم بإحدى تلك الجذوع الضخمة، إن حدث هذا فسوف أضيع عنه، فالأشجار المتلاصقة والأغصان المتشابكة جعلت المكان أشبه بمتاهة...

لقد غربت الشمس وأصبحت رؤية الفتى أصعب... كما أنني لم أعد أقوى على الركض، لا يمكنني أن أستمر أكثر...

وقفت في مكاني، لقد اختفى الفتى، لقد استنفدت طاقتي!

كنت أسمع صرخاتهم الغاضبة خلفي...

هنا رأيت الفتى يعود ثم يشدّ يدي، وأنا أقول له لاهثًا:

- «أنا... لم أعد.. قادرًا على الركض أكثر»

لكنه وقف خلفي وبدأ بدفعي...

- «اهرب أيها الفتى، وإلا أمسكوا بك معي»

لم يتوقف الفتى عن الدفع إلى أن وقفنا أمام أحد الأشجار القريبة، وأزاح الفتى اللحاء، كانت الشجرة مجوفة، أمسك يدي وهو يشير أن أدخل، فدخلت معه ثم اغلق اللحاء خلفه...

كانت الصرخات الغاضبة تعلو في الخارج... بينما أحاول أن أكتم لهاثي المرتفع الذي فقدت السيطرة عليه حتى لا يمسكوا بنا!

جلس الفتى على الأرض، كان المكان مُعتمًا في الداخل لكنه أدفأ من الخارج، بالتدريج تسرّبت أشعة القمر من فتحات موجودة في اللحاء، لكن هذه الأشعة كانت تتقطع من وقت لآخر بسبب مرور أحد الرجال الغاضبين بقرب الشجرة.

بعد أن ابتعدت الأصوات عنا وارتحت قليلًا، نظرت حولي،

الأرضية عليها أعشاب رُتبث كأنها فراش، يبدو أن الفتى يعيش هنا وحده، شعرت بالشفقة عليه، كيف لفتى بعمره أن يعيش وحيدًا في هذا العالم المخيف، قلت له بصوت منخفض:

- «هل تعيش هنا وحدك؟!»

نظر الفتى نحوي مستغربًا، اقترب مني متحمسًا ثم أصدر أصواتًا:

- «يش.. نا... دك؟»

هل هو يتكلم؟! لا، فقط يحاول تقليدي، قلت:

- «أنت لا تفهم ما أقول!»

- «ت.. هم.. ول»

ضحك الفتى في براءة وقفز عدة قفزات فرحًا بإنجازه... يبدو أن هذه المرّة الأولى التي يسمع أحدًا يتكلم فيها وربما لم يعرف أن البشر يستطيعون إخراج أصوات كهذه...

صدر صوت قرقرة من معدتي، ابتسم الفتى لي كأنه فهم أنني جائع ثم توجه نحو كومة من الأعشاب ومدّ يده ليخرج شيئًا من أسفلها، أخذ الفتى قضمة من ذلك الشيء ثم مدّ

بيده نحوي وهو يبتسم ويدعوني لتناول الطعام، حين وصلت يده إلى دائرة الضّوء أدركت أن ما في يده هو جرذ! تراجعت للخلف بتقزز، وقلت:

- «هذا مقرف أيها الفتى، هذا غير صحي! لا شكرًا، لا أريد»

- «لا.. ريد!»

قالها باستغراب ثم عاود تقديم عرضه السخي لي لكني هززت رأسي بعنف بأنني لا أريد، تراجع الفتى وعلامات العجب واضحة على وجهه وأكمل وجبته ببراءة لا تتناسب مع ما يأكله...

من أنا كي أحكم عليه، إنهم يعيشون قانون الغاب هنا وهذا هو نظامهم الغذائي!

بالطبع لم يكن في هذا الماضي السحيق طب وأطباء، ولم يكن هناك توعية صحية(4)...

كان الفتى يلوك اللحم بمتعة، بينما أشعر أنا بتوعك لا إرادي من المشهد.

أعتقد أن بشر العصور القديمة يمتلكون مناعة أفضل من مناعة البشر المعاصرين، والأهم أنهم يمتلكون مناعة ضد هذا المنظر الشنيع وما يحتويه من سلوكيات غير صحية قد

تسبب بعشرات الأمراض لي!

أستطيع تحمّل الجوع قليلًا، فلقد فقدت شهيتي في النهاية...

لكن الآن لدي الكثير من الأسئلة، لا بد من أن أجد وسيلة للتواصل مع الفتى، قلت وأنا أشير نحوي:

- «أنا اسمي مازن، مازن»

بادلني بضحكة بريئة وحاول تقليدي بمحاولات فاشلة:

- «زن، ما.. زن»

ثم أكمل وجبته...

- «صحيح، أحسنت، أنا مازن»

- «سنت.. أنا زن»

ماذا أفعل؟! إنه كالببغاء يردد جزءًا مما أقول دون أن يفهم ما أعنيه! إن حاولت أن أعلمه الكلام فهذا سيأخذ سنوات من التعليم وقد لا أصل إلى نتيجة...

ماذا سأفعل إذن؟!

أرحت جسدي على اللحاء وأنا أشعر بالحيرة، تعليمه لن

يساعدني قبل انتهاء الوقت، لا خيار آخر سوى أن أغادر وحدي في صباح الغد وسأذهب من طريق أتجاوز فيه الجرف الذي يعيش به أولئك الرجال المتوحشين، أنا لا أعلم كم يمتد الجرف ولا أعلم ما قد يوجد بعده، وقد تكون مضيعة للوقت ومجازفة لكن لم يبقَ لي أيّة خيارات، أخرجت الجهاز من جيبي ونظرت إلى شاشته، العد التنازلي وصل إلى خمس وأربعين ساعة، أي لدي أقل من يومين قبل انتهاء الوقت!

انتهى الفتى من تناول وجبته، أصابعه تقطر دمًا من دماء الجرذ ثم وقف وتوجه نحو اللحاء وبدأ يمسح الدماء على الجدران الداخلية بينما يخرج لحنًا لطيفًا مكون من أربع نوتات بسيطة ومختلفة، كان يكرر اللحن نفسه...

لقد استغرق وقتًا طويلًا في فعل هذا ولم ينتهِ بعد... مهما كان فهذا يكفي لهذا اليوم لي، أنا مرهق جدًا ويجب أن أنام...

من الجيد أن الجو أدفأ داخل الشجرة من خارجها، تسلل شعور النعاس إلي وأغلقت عيني... وغصت في نومٍ عميق.

بالطبع راودتني الكثير من الكوابيس فيها أولئك القوم يحاولون قتلي.. استيقظت والعرق البارد يتصبّب بغزارة مني...

إنه الصباح، لقد اخترقت أشعة الشمس المخبأ وأنارته، تلفت لأجد الفتى نائمًا...

استرعى انتباهي شيء، وحين فهمت ما هو أصابتني صدمة! إنارة أشعة الشمس قد كشفت لي ما كان يفعله الفتى البارحة في الليل، لم يكن يمسح أصابعه كما كنت أظن، بل كان يرسم على اللحاء! اقتربت من الرسومات، وبدأت أتأملها بتركيز، إنها مثل تلك الرسومات التي قد تجدها في الكهوف التي عاش بها بشرٌ بدائيون...

هذا الطفل يبدي درجاتٍ عالية من الذكاء، لقد قام بإنقاذي من الرجال المتوحشين وتغلّب عليهم بذكائه، وكان يستطيع ترديد بعض الحروف والكلمات التي أقولها، وقد رسم هذه الرسومات التي أراها أمامي!

بعد التدقيق أدركت أنه قد رسم ما حدث البارحة لنا، رسومات بسيطة لكنها معبّرة، طفل يركض هو ورجل غريب من رجال مخيفين قد سقطوا على الأرض بسبب حبل... إذن هذه مذكراته!

ألقيت نظرة إلى الرسومات الأخرى التي رسمها الفتى في مناطق مختلفة من اللحاء، واستطعت أن أفهم القليل منها،

في البداية يبدو أن الرسومات التي في الأعلى هي الذكريات الحديثة وكلما نزلت للأسفل تعود أكثر في ماضيه، ربما هذا بسبب زيادة طوله مع الوقت، هناك رسومات فيها الفتى يختبئ في أماكن مختلفة من شيء يبدو كوحش مخيف قصير القامة ذي شعر طويل متطاير... وفيها الطفل يهرب مبتعدًا!

جلست على الأرض ونظرت نحو الرسومات الأقدم، هناك شخص كبير يمسك بيد الطفل، يبدو أنها امرأة، الرسمة التي تليها كانت تحمله وتحميه من الأمطار والحيوانات، ثم في الرسمة التالية يهجم عليهم الرجال المتوحشين خلفهم الوحش بينما تدافع المرأة عن الفتى وثم تهرب به وهي تنزف، ثم رسوم متعرجة أن المرأة قد ماتت والفتى يحتضنها ويبدو أنه يذرف الدموع عليها...

أحسست بوجود الفتى وقد جلس بقربي، نظرت لوجهه البريء، كان علامات الحزن مرتسمة على وجهه وهو ينظر نحو رسمة موت المرأة...

قلت له:

- «هل هذه هي والدتك؟!»

نظر نحوي في حيرة، قلت:

- «هل هي ماما؟»

- «ما...ما»

اقترب من رسمة المرأة ولمسها وقد انسابت الدموع من عينيه وهو يردد:

- «ما...ما...ماما»

لم أتمالك نفسي واحتضنت الفتى، لقد خسر والدته بسبب أولئك الهمجيين...

- «لقد قتلوا والدتك أيها الفتى، وأنت وحيد في هذا العالم المظلم، لقد قضيت معظم ما مضى في حياتك في الهرب، أشعر بالأسف عليك أيها الفتى المسكين»

أتمنى لو أستطيع أن أُقدم له شيئًا عدا مشاعر التعاطف، لكني لست سوى غريب ضائع في هذا العالم، ولا توجد وسيلة للتواصل بيننا...

لحظة... ربما أستطيع أن أتواصل معه باستخدام الرسم!

لقد فهمت العديد من رسوماته وأستطيع تقليد أسلوبه، كما أن ذكاءه مرتفع والأمر يستحق المحاولة...

رفعت أصبعي أمامه وهو يحدق به ثم وضعته على التراب ورسمت شخصًا معتمدًا على رموزه المستخدمة في رسوماته، بعد ذلك أشرت إلى نفسي وقلت:

- «مازن»

- «ما.. زن»

- «أحسنت»

تبعت ذلك برسومات للرجال الغاضبين وقد أمسكوا بي، ثم أشرت له أن يكمل؟

نظر الفتى لثوانٍ للرسومات ثم نظر نحوي، هل فهم ما أقصده؟!

احتضنني الفتى وهزّ رأسه كأنه يقول لي أنه لن يسمح لهذا أن يحدث...

- «لا بأس، أنا فقط أريد أن أعرف ما سيحدث»

بعد محاولات لإيصال هذه المعلومة وقف الفتى أمامي ثم أخرج لسانه وقام بحركة بيده كأنه يقطع لسانه!

قفزت من مكاني وقلت في هلع:

- «ماذا؟! أتقصد أنهم يريدون قطع لساني!»

كان ذلك صادمًا، لكني هدأت وجلست وأنا أفكر في الأمر، لقد لاحظت أن ألسنة أولئك القوم قد قطعت، حتى العجوز الذي رأيته في البداية لمحت أن فمه فارغ، أهذه هي طقوس أو عادة ما لأولئك القوم!

ربما هربت والدة الفتى لأنها لم ترد أن يقطعوا لسانها هي وابنها؟ وقد قتلوها لأنها قاومت...

إما أن تستسلم ويُقطع لسانك أو تقاوم وسوف يقتلونك!

لكن لماذا؟! وماذا يفعلون به بعد قطعه؟

لم يكن إيصال هذا السؤال سهلًا لكن بعد محاولات عدة فهم الفتى ما اقصد في النهاية، فرسم خطًا مائلًا وعليه أشكال كأنها قرون فلفل...

- «ماذا تقصد بهذا؟!»

أشار للسانه ثم أشار لتلك الرموز... وهنا أدركت الأمر... هذا مرعب... إنه يقصد أن الحبال التي رأيتها سابقًا، لم تكن تحتوي على قرون فلفل أو فاكهة مجففة كما كنت أظن في حمق، بل عليها ألسن مقطوعة! لقد كانت آلاف الألسنة على الحبال! وهذا ما شاهدته فقط في أثناء اقترابي من الكهوف... الأمر يدلّ أن هذا الطقس موجود منذ فترة

طويلة!

شعرت بتقزز حين تذكرت أنني هممّت بتناول أحد تلك الألسن!

ما الذي يحدث في هذا العالم المريض؟!

لقد نجحت يا خالد في وضعي في عالم كابوسي كما كنت تتمنى لي، لكني لم أستسلم بعد، لا زال هناك أمل بأن أعود.

مسحت الرسومات التي صنعتها على التراب ثم أعدت الرسم وهذه المرّة حاولت أن أوصل له إني أريد أن أصل خلف الجرف، وبعد أن فهم الفتى ما أقصد...

مسح الفتى الرسومات في عنف ثم أشار -والذعر قد ظهر على ملامحه- إلى رسم الوحش القصير ذي الشعر الطويل الملتهب!

هل يقصد أنه هذا الكيان مرعب أكثر من أولئك الرجال المتوحشين؟

قاطع تفكيري صوت قرقرة معدتي الذي ارتفع، منذ أن غادرت بعد نسيج الزمن وأنا أشعر بالجوع الشديد، هذا الشعور افتقدته في بُعد نسيج الزمن! لا تنسَ أن القوانين تختلف في ذلك البُعد...

همّ الفتى بالوقوف، فأوقفته وقمت برسم صورة للجرذ ثم مسحته بعنف معرضًا عن عدم قبولي لتناوله، ابتسم وهزّ رأسه مؤكدًا لي بأنه قد فهم، ثم أخرج حجرًا مدببًا من مكان ما أسفل الأوراق على الأرض وانطلق متحمسًا إلى خارج المخبأ...

أخرجت الجهاز، لقد أصبح العد التنازلي يقارب ستًا وثلاثون ساعة، أي أنه مضى قرابة أربع عشرة ساعة لي في هذا العالم...

يجب أن أتحرك... البقاء هنا سيقلل فرصة هروبي...

أتساءل كيف حال الآخرين، ريم، مارك، فراس وكارمن، أرجو أن يكون حظهم أفضل من حظي...

تحرّك باب المخبأ، ودخل الفتى وهو سعيد بما جلبه من طعام، مدّ يده أمامي ليريني الغنيمة التي اصطادها، أفعى تتلوى في تشنجات الموت...

صرخت لا إراديًا: «**أيضًا هذا لا!!!**»

خرجت علامات الحزن على وجه الفتى، لكني احتضنته واعتذرت:

- «أنا آسف، لقد فعلت لي الكثير وأرى أنك أنت من ترعاني، في حين يجب أن أقوم أنا بذلك»

ثم رسمت له على التراب أن الأفاعي أيضًا لا يمكن أن أكلها أيضًا.

ثم بدأت مهمة شاقة في نقل رسالة للفتى، أخبرته أنني يجب أن أذهب في رحلة، وأنني بحاجة له ليدلّني إلى أقرب منطقة آمنة له إلى المكان الذي تشير له النقطة الحمراء، وبما أنني أتضوّر جوعًا ولم أعدّ أتحمل ما يجلبه لي فسأقوم أنا باصطياد الطعام هذه المرّة خلال تقدّمنا... أنا بحاجة له كي يدلّني على أماكن تواجد الحيوانات ويساعدني عن الابتعاد عن الأماكن الخطرة وأماكن تواجد الرجال المتوحشين، ثم سنفترق عند المكان الآمن له...

بعد نصف ساعة من الضحك وإعادة الرسم ومحاولات يائسة لتحويل بعض المصطلحات إلى رسومات، يبدو أنني نجحت في إيصال جزءٍ جيد من الرسالة له...

هزّ رأسه ثم وضع الحجر المدبب في يدي، كأنه يقول لي أنت القائد الآن!

ثم توجه نحو كومة الأعشاب وأخرج مخزونة من الجرذان

الميّتة وربطها حول خصره، لقد جلب وجبات خفيفة له لهذه الرحلة!

انطلقنا نحو الخارج...

كنا نسير مبتعدين عن المخبأ، وطوال سيرنا لم تتغيّر مشاهد الطبيعة كثيرًا، أشجار عملاقة طويلة ميتة، تراب رطب لا يحتوي على أيّة أعشاب، لكن يبدو أن الفتى يعرف أين هو ذاهب...

فجأة بدأ يتحرّك بخفة ويختبئ بمهارة خلف جذوع الأشجار والصخور، بينما أنا أحاول تقليده محاولات فاشلة! أنا معجب بمدى براعته في النجاة، لقد استطاع أن يحافظ على حياته حتى الآن في هذا العالم القاسي رغم أنه طفل!

أشار لي مبتسمًا بأن التزم بالهدوء ثم أشار إلى نقطة أمامه، لقد وجد فريسة!

اقتربت بخفة -بأقصى قدرٍ أستطيعه طبعًا- ونظرت نحو الفريسة واللعاب يسيل من شدقي، وما أن رأيت الفريسة حتى كدت أن استفرغ ما في معدتي -لولا أنها فارغة-، لقد كان عنكبوتًا نافقًا عملاقَ الحجم!

شددت الفتى وأجلسته بقربي ورسمت له على الأرض أن

العناكب من المفترض ألا توكل أيضًا! هزّ الفتى رأسه في استسلام ولسان حاله يقول:

- «إرضاء حضرتك مستحيل سيدي! كان هذا أفضل الأفضل لدي!»

سأختصر لك ما جرى بعد ذلك منعًا للتكرار وسأذكر فقط الحيوانات والحشرات التي أقترح علي أكلها بالإشارة عليها بعد بحث مضنٍ وصعود العديد من التلال والجبال...

علجوم(5)، عقارب، الحريشة(6)، ثم خفافيش...

قلت وأنا أسير في يأس:

- «يكفي بحثًا في هذا المكان المقرف، لقد فقدت شهيتي، أفضل الموت جوعًا على أكل أحدى تلك الأشياء، ألا توجد حيوانات عاشبة في هذا العالم؟!»

تابعنا التقدّم بينما توسطت الشمس كبد السماء، وألم الجوع يتصاعد، ربما سأتنازل عن سقف طموحي -والله أعلم ما قد سأكله حينئذ-، مهما قاومت فالجوع سينتصر في النهاية وسيجعلني أضع مبادئي في اقرب حفرة في هذا المكان...

وقفت بعد أن سمعت صوتًا عذبًا!

- «أتسمع هذا!... أعتقد أنه صوت عجيج ماء!»

أسرعت الخطى لأتجاوز الأشجار وهناك رأيت النهر، اقتربت منه، أهذه أسماك تسبح مبتعدة أمامي؟! أجل! أخيرًا، لقد وجدت ما يصلح أن آكله، نظرت نحو الفتى وأنا أشعر بالسعادة، لكن هذه السعادة تلاشت حين رأيت وجه الفتى الجاد، أنا لم أرَ هذه الملامح الجاد عليه سابقًا...

- «هل الأمور بخير؟»

هنا أشار لي الفتى بصرامة بأن أتوقف عن الكلام، ثبت بصره نحو نقطة مظلمة في الغابة كأنه يعلم بأن شيئًا يراقبنا، حرك أرنبة أنفه وهو يشتم رائحة ما ثم أشار لي بأن أسرع وأتبعه، قلت في خوف:

- «ما الذي يحدث؟ أهناك من يلاحقنا؟»

بالطبع لم أتوقع أن يفهم ما أقول أو يردّ عليّ لكن كان هذا ردّ فعل ناتجًا عن الخوف...

أسرعت خلفه، كان يركض نحو إحدى الأشجار في الاتجاه المعاكس، شعرت بأن شيئًا يتبعنا ورائحة كرائحة جيف الموتى تتصاعد، أسرع الفتى وتسلّق أحدى الأشجار في خفة كالقرود، لكن الأمر كان عسيرًا عليّ، كنت أتحسس بيدي

اللحاء محاولًا إيجاد فراغٍ يتسع لها، وأحاول جاهدًا -إن وجدت الفراغ المناسب- أن أرفع نفسي وأحافظ على توازني في الوقت القصير الذي أملكه، لكن انتهى الأمر بسقوطي على الأرض بعد أن انكسر جزء من اللحاء بيدي، ويبدو أن الوقت قد فات...

من خلف إحدى الصخور، خرج كائن شبيه بالضبع لكنه أضخم وشعره كثيف بشدة، إنه مرعب بحقّ...

هنا تذكرت رسومات الفتى، أهذا هو الوحش الذي يطارد الفتى في كوابيسه، نظرت نحو الفتى الذي كان يصيح ويشير لي بالصعود:

- «ما.. زن، ما.. زن!»

ذلك الوحش جعل هذا الفتى يعاني الكثير، لقد كان له دور في موت والدة الفتى...

أعتذر أيها الفتى، لا مجال للهرب لي الآن، أنا لست بشجاعتك ولا بمهارتك في النجاة، لكني أقوى جسديًا منك، لا أظن أنني ندٌ لهذا الوحش، وستنتهي المعركة بموتي الأكيد، لكن من أجلك سأقتل هذا الوحش قبل أن أموت أو على الأقل سأصنع له إعاقة تعطيك تقدّمًا عليه وأخلصك من هذا

الكابوس الذي يلاحقك...

هذه فرصتي كي أرد جميلك...

صورة الفتى في عقلي وهو يبتسم ابتسامته البريئة في أمان بعد انتهاء كابوسه الذي يطارده جعلتني أنسى الخوف من الموت... تلك الصورة أوقفت الارتجاف في يديّ وجعلتني أشعر بهدوء عجيب في عقلي كأنني محارب قد خاض مئات المعارك ولم يعدّ يخشى الموت....

أخرجت الحجر المدبب الذي أعطاني إياه الفتى سابقًا، أخذت نفسًا عميقًا ثم زفرت وأنا أنظر نظرة متحدّية نحو الضبع كان يدور منتظرًا اللحظة المناسبة...

لا أعلم ماذا يجري لكن الهدوء في عقلي جعلني أشعر بأن الزمن يمرّ بشكل أبطأ... ربما هو الأدرينالين... توقف الضبع عن الدوران وانقض مسرعًا نحوي، يندفع بسرعة لكني استطعت أن أقفز متجنبًا هجمته الأولى، قد أستطيع الانتصار وأنا في هذه الحالة العقلية، لقد هبط أمامي ودفاعاته مرخيّة، دفعت الحجر بأقصى ما أمتلك من قوة في بطنه، بينما استدار الوحش بسرعة غريزية وضربني بمخلبه لأطير مسافة ثم أسقط على الأرض...

اللعنة، ألم تؤثر به تلك الطعنة؟!

كنت أحاول الوقوف بصعوبة والدماء تسيل من ذراعي بينما الضبع يدور حولي لينقض عليّ والدماء تسيل من بطنه هو الآخر...

كنت أبحث عن الحجر... لقد سقط بعيدًا عني! لا يوجد ما أدافع به عن نفسي... كنت غبيًا حين ظننت أنني قادر على قتله!

انقض الضبع مرة أخرى لينهي ما بدا به، إنها النهاية!

بشكل مفاجئ سقط شيء على وجه الوحش، لقد كان الفتى بعد أن قفز من أعلى إحدى الأشجار، إنه يمسك بغصن في يده، وقبل أن يفهم الوحش ما يحدث... غرز الفتى الغصن في عين الوحش، بعنف أظهر مقدار تألم الوحش، قام الوحش بتحريك رأسه بقوة يمينًا وشمالًا وهو يصدر أصواتًا مرعبًا، لكن الفتى لم يفلت قبضته، هنا ركض الوحش وارتطم هو بجسد الفتى في إحدى الأشجار...

كان صوت الارتطام مفزعًا، وسقط الفتى متألمًا، ثم في غضب فتح الوحش فمه، وهجم على الفتى الذي لم يعدّ قادرًا على الوقوف، لكن الفتى لم يستسلم ومدّ يديه وهي

تحتوي أشياءً في فمّ الوحش، لقد كان ما وضعه هو جميع الجرذان التي كان يحتفظ بها حول خاصرته، يبدو أن الوحش قد تفاجأ بهذا الفعل، مزّق الوحش ما في فمه بفكه القوي، ثم رفع مخلبه ليمزق الفتى الذي كان يبتسم في ضعف... يبتسم لي ثم أغمي عليه...

أشكرك أيها الفتى، لقد أعطيتني الوقت الكافي الذي أحتاجه....

هنا تفاجأ الوحش بهجوم غير متوقع مني من نقطته العمياء وبيدي الحجر المدبب، قفزت وزرعت الحجر في عين الضبع السليمة المتبقية ليتلوى في ألم على الأرض لدقائق ثم وقف محاولًا الهرب وارتطم بالعديد من الأشجار خلال ذلك...

أمسكت الفتى وأنا خائف بأن تكون إصابته سيئة، وبينما أتفقد نبضه وتنفسه، فتح عينيه وهو يتلفت بقلق إلى أن رأى الوحش في حالٍ مزرية، أدرك ما حدث واحتضنني بقوة... قلت له بفخر:

- «أنت شجاع بحق»

لقد انتصرنا على الوحش الذي سقط في النهاية في النهر

وانجرف بعيدًا عنا....

قمت بتنظيف جراحنا ووضع قطع ملابس مما تمزقت عليها... الحمد لله لم يصب أحدنا بكسور أو بإصابات في موضعٍ خطير...

تذكرت الجهاز الموجود في جيبي، خشيت أن يكون قد تحطّم، والحمد لله أن هذا لم يحدث! لقد تبقى من الوقت ثمانٍ وعشرون ساعة، والخط الأبيض الذي كان أسفل الدائرة الحمراء قد ارتفع هذه المرّة فوقها، لقد سئمت هذه الرموز وأتمنى لو قام إكزافير بعمل دورة تدريبية لكيفية استخدام الجهاز...

الشيء الجيد هو أننا اقتربنا من موقع النقطة الحمراء، ذلك الفتى الذكي حرص على ذلك متجاوزًا أماكن عيش تلك القبيلة الهمجّية! أعتقد أنني سأصل إلى النقطة الحمراء في أقل من ساعتين...

لكن قبل هذا نستحق وجبة لذيذة بعد ما حصل...

عند النهر... وقفت فوق إحدى الصخور وحاولت الصيد لكن من دون جدوى، فالأسماك زلقة وما أن أمسك واحدة منها بمعجزة تنزلق هاربةً من بين يديّ، كان الفتى أوفر حظًا مني،

واستطاع أن يمسك سمكة بردود فعله السريعة ثم يلقيها بسرعة نحو اليابسة، إنه صياد بالفطرة، ومن الأفضل أن أترك له مهمة الصيد بينما أنتهي من تحضير مكان لنا...

قام الفتى بعمل جيد وجلب أسماكًا أكثر من حاجتنا، جلس بقربي على إحدى الصخور التي وضعتها وبدأ يراقب ما أفعل، قلت له:

- «سوف أريك شيئًا مذهلًا»

كنت أحاول أن أشعل النار، وضعت بعض اللحاء الجاف وغصون الأشجار ثم بدأت أحرك إحدى الغصون بحركات سريعة حول محور الغصن محاولًا صنع الاحتكاك اللازم ليولد حرارة كافية لإشعال النار، بقيت أحرك هكذا من دون توقف، لكن النار رفضت أن تخرج، الأمر في مخيلتي أسهل من هذا!!

لم أتوقف وأصبحت يديّ تؤلمانني والفتى يحرك رأسه في حيرة، شعرت بنوع من الحرج، من الجيد أنه لم يفهم ما أقول، ربما كان سيسألني «**أهذه الحركة الحمقاء هي الشيء المذهل!؟**» استمررت إلى أن بدأ الدخان بالتصاعد، وبعد دقائق من التصبب عرقًا والتحريك من دون توقف وخروج بعض التقرحات والحروق من الدرجة الأولى في كفيّ...

اشتعلت النار، وقفت في فخر وأنا أمسح العرق وأكاد أبكي:

- «هذه هي النار»

نظرت نحو الفتى، لم أكن أتوقع ردّت فعله، لكن كان مصابًا بالذهول!

اقترب من النار، يبدو أنه لم يرَ نارًا من قبل... قال:

- «نا..ر... نار»

- «أجل، صحيح، نار»

قرّب يده اكثر فأحترق وتراجع خائفًا، أمسكته برفق وقلت:

- «لا تقترب كثيرًا لأنها مؤذية، لكن إن تعلمت كيف تتعامل مع النار فسوف تجد أنها مفيدة في الوقت نفسه، العلم نور يا عزيزي»

وضعت يديّه في منطقة الدفء، جلس الفتى وارتسمت ابتسامة دافئة على محياه وهو يشعر بمتعه لم يحْظَ بها من قبل لدرجة أنه بدأ يخرج لحنه اللطيف المكوّن من أربع نوتات، يبدو أنه يحب أن يغني هذا اللحن حين يكون سعيدًا.

وضعت الأسماك على بعض الأغصان ووضعتهم بمقربة من النار، ثم قلت:

- «سننتظر قليلًا»

حين انتهيت من شواء أول دفعة من السمك، أعطيته واحدة وبدأ الأكل في توجّس، ثم بعد أن تناول أول لقمة، فتح عينيه مندهشًا وأكمل باقي السمكة في شراهة، كنت أضحك وأنا آكل بدوري لأسدّ جوعي... الحمد لله أن الأمر لم ينتهِ بي بتناول جرذ أو عنكبوت أو غيره...

بعد أن انتهى الفتى... قال:

- «أح..سنت... أحسنت...مازن»

قلت في خجل:

- «لا داعي لهذا...»

ثم فتحت عيني في صدمة:

- «لحظة! هل تكلّمت؟!»

ما الذي يحدث؟! أنا متأكد بأنه لا يعرف ما هي اللغة، لكنه تكلّم! أتذكر أنني قلت له «أحسنت» مرة واحدة أو مرتين، هل حفظها؟! المثير للدهشة أنه عرف أين يستخدمها! إن كان هذا صحيحًا فأنا أقف أمام عبقري نابغة!

- «أيها الفتى، أنت لا تكف عن إصابتي بالدهشة منك»

أشعر بالفخر كأنه ابني، ربما يجب أن أعطيه اسمًا بدلًا من مناداته بالفتى، لست مبدعًا في هذه الأمور، لكن منذ أن رأيته وأنا أرى شجاعة لا توصف، ولا يخطر بذهني سوى اسم شجاع له... ربما هذا اختيار كسول مني لكنه يناسبه...

أشرت نحوي وقلت:

- «مازن»

ثم أشرت نحوه وقلت:

- «شجاع»

كررت الأمر ثم بدأ ينطق الحروف بصعوبة...

- «ش..ج...اع»

- «أعتقد أنّ الاسم صعب عليك، ربما يجب أن أجد اسمًا آخر أسهل»

ثم يضرب بيده على صدره في سعادة ويقفز وهو يردّد:

- «شج..اع، شج... اع، شجاع، شجاع»

- «أحسنت»

انتهت وجبة الطعام والراحة، وتبقت ستٌ وعشرون ساعة،

الشمس تستعد لأن تغرب بعد ساعات، يجب أن نسرع، وقفنا وانطلقنا في رحلة إلى النقطة الأخيرة...

كنت أشعر بتوتر في ملامح شجاع كلما اقتربنا من النقطة الحمراء، كان يسير ببطء أمامي ويختبئ بحرص ثم يشير لي بأن أتقدّم فأتبعه...

لقد اقتربنا كثيرًا من النقطة الحمراء بعد قرابة ساعتين من المشي، أنا متحمس للغاية، لقد اقترب الكابوس من أن ينتهي، كنت أنظر إلى الجهاز كل بضع دقائق لأراقب كم مسافة تبقت على الوصول، نحن نقترب بينما لا زال الخط الأبيض فوق النقطة الحمراء... ثم وصلنا!

- «لكن... لكن لا يوجد أي شيء هنا!»

أجل، لا يوجد شيء، حتى المسافة بين الأشجار الميّتة كانت متباعدة، وكنا نقف على أرض ترابية لا يوجد حولها ما يدلّ على أنه مهرب من هذا الكابوس! لقد كان الأمل وهمًا؟!

جلست على الأرض وأنا أشعر بالحزن، لقد ضاع أمل الخروج من هذا العالم!

حاول شجاع أن يواسيني، قلت له:

- «لقد خسرت الأمل يا شجاع»

- «أ..م..ل»

- «أنت لن تفهم ما معنى الأمل، إنه الشعور بأن المستقبل سيكون أفضل، الشعور بالتفاؤل والإيجابية بأنك ستتغلب على الظروف الصعبة، لكن خسرت هذا الشعور، سامحني يا شجاع فقد انتهى كلّ شيء، إن مجرد نجاتي في هذا العالم حتى الآن يعدّ إنجازًا، والعيش هنا هو حكمٌ بالموت الأكيد لي»

وضع شجاع يديه على رأسي ورفعه وهو يشير لي أن أتبعه!

أهذه نظرة حزينة قد عَلت وجهه؟ ربما لم يردّ أن أشاهد ما سوف يجعلني أشاهده منذ البداية، لكنه لم يجدّ خيارًا بعد أن شعر بأنني قد انهرت! وقفت وأنا أشعر بالقلق وتبعت الفتى الذي مشى إلى أن وصل لآخر شجرة واختبأ وهو يشير لما خلفها، وقفت بقربه لأرى ما الذي يقلقه...

رأيت الكثير من الخيم أمامي!

موقع الخيم قريب من النقطة الحمراء، هل هذه مصادفة أم تعني شيئًا ما...

صعد شجاع الشجرة وأشار لي بأن أتبعه، ساعدني هذه

المرّة على التسلّق...

ومن الأعلى استطعت رؤية المكان بأكمله، الكثير من الخيم البدائية المصنوعة من جلود الحيوانات وأخشاب الأشجار والحبال، نصبت حول مدخل كهف عملاق يبدو أنه يمتد لداخل الأرض، بينما يمرّ النهر من خلال القرية ويصل إلى نهايتها ثم يسقط من حافة ليصبح شلالًا، إذن هناك يقع الجرف الذي رأيت به الرجال الهمجّيين، إنهم نفس القبيلة إذن!

لكن ما سيفيدني هذا! الفتى لم يردّ أن يأتي هنا لأنه على الأغلب تم قتل والدته هنا...

ربما من الأفضل أن أبقى في هذا العالم الكابوسي وأرعى الفتى إلى أن أموت بشكل ما!

قد أموت بالمرض أو التسمم بسبب مناعتي التي تختلف عن مناعة من يعيش في هذا العالم...

أو ربما أقتل من إحدى الكائنات المتوحشة أو من الرجال الهمجيين في أثناء هروبي مع الفتى!

نظرت للجهاز نظرة أخيرة، سأحتفظ به كي لا أنسى أنني لا أنتمي لهذا المكان...

إنه يشير أنه تبقى أربع وعشرون ساعة... تبقى على ماذا؟! أتسخر مني يا إكزافير؟!

لحظة! هل أنا أتخيل أم أن الخط الأبيض قد ازداد ارتفاعه!

لم اختلفت؟! البارحة كان تحت النقطة الحمراء واليوم قبل ساعة كان مرتفعًا والآن ازداد ارتفاعه!

لماذا؟! لم يتغيّر شيء سوى أنني صعدت هذه الشجرة....

الصعود!

اليوم صعدنا العديد من الجبال والتلال إلى أن وصلنا إلى هنا....

مازن!! أيها الغبي، الخط الأبيض يدلّ على الارتفاع!

لقد وصلت للمنطقة الصحيحة لكني كنت أقف فوق المهرب!

يجب أن أنزل... إلى أعماق هذا التلّ!

كيف؟... هذا واضح... عن طريق الكهف الموجود وسط القرية! المهرب يقع في باطن ذلك الكهف!

يجب أن أتسلل لداخله، لكن كيف وهناك أعداد لا تُحصى من أولئك المتوحشين! لا أظن أن عمليّة التسلّل ستكون

مهمة سهلة!

على أي حال... أشكرك يا شجاع....

حين تلفت لشجاع رأيته يرتجف كورقة وهو يتراجع للخلف وينكمش كأنه قط يقف أمام أسد ينوي افتراسه! لم أره خائفًا هكذا حتى حين قاتلنا الوحش...

- «شجاع! ماذا أصابك؟!»

كان نظره ثابتًا نحو مدخل الكهف، ركزت نظري نحو تلك النقطة، خرج من الكهف بعض الرجال المتوحشين وهم يجرون رجلًا يختلف عنهم بجلد مصفر اللون، وضعوا رأسه على الحجر، ثم خرجت عجوز من الكهف تتكئ على عصا مثبت عليها جماجم وفي نهايتها حجر مدبب، كانت العجوز ذات شعرٍ أبيض ملتهب، بتجاعيد واضحة جعلتها أشبه بساحرة شمطاء، وأظافر طويلة أقرب إلى سكاكين، هذا وأنا أشاهدها عن بُعد، لا بد أن الكثير من التفاصيل الشنيعة ستظهر إن اقتربت، إنها مخيفة بحق، لاحظت أن شجاع بدأ بالبكاء وكاد يسقط من الشجرة، أمسكته محاولًا أن أهدئه، لا تنسَ بأنه طفل في النهاية، وهو خائف بشدة من تلك العجوز، إنه خائف أكثر بمراحل من خوفه من الضبع! ربما... ربما لم يكن الوحش في رسوماته هو الضبع الذي قتلناه! بل الوحش

هو هذه العجوز! الكابوس الذي يلاحق شجاع! إنها سبب معاناة الفتى وموت أمه!

أكملت مراقبة المشهد، وقفت العجوز أمام رأس الرجل الأصفر الذي ثُبِّتَ على الصخرة، وقد خرج الكثير من الرجال والنساء من الخيم وأحاطوا الصخرة، أمسك أحدهم رأس الرجل الأصفر وأقحم يدّه عنوة في فمّ الرجل ثم سحب لسانه، ثم رفعت العجوز عصاها المثبت به حجر مدبب نحو السماء وأطلقت صرخة غير آدمية جعلت دمائي تجف في عروقي، و....

أغلقت عيني وأنا أشعر بألمٍ من المشهد، ثم تجرأت وفتحتهما بعد دقائق...

كانت تمسك بلسان الرجل المقطوع في يد وتضع يدها على رأس الرجل الذي كان يبكي من الألم!

بدأت بعد ذلك طقوس غريبة، كلّ من يقف حول العجوز قاموا بدهن الرجل بدمائه، بينما أعطت العجوز اللسان لأحد أطفال القرية، الذي أسرع وعلقه على أحد الحبال...

في النهاية دخلت العجوز إلى داخل الكهف وتراجع رجال القرية ونساؤها إلى خيمهم، وتركوا الرجل على الصخرة وقد

أغمي عليه أو ربما قد فارق الحياة!

نزلنا من على الشجرة، نظرت نحو شجاع الذي أمسك يدي وشدني بالاتجاه المعاكس وهو ينظر بتوسلٍ لي بعيونٍ دامعة، أنه لا يريدني أن أكمل، لقد جلبني هنا رغمًا عنه ليريني أن لا أمل بالبقاء في هذه المنطقة، والاستمرار بالبحث يعني التصادم مع أولئك القوم...

أنا آسف يا شجاع... لكن هذا العالم لا يصلح لي للعيش به، بعد الذي رأيته قبل قليل لن أتحمل العيش يومًا آخر هنا، حتى أنني أريد أن تأتي معي وتهرب من هذا العالم المقّيت...

ربتُّ على شعره الطويل، ثم قمت بالرسم على التراب محاولًا أن أخبره بأنني يجب أن أذهب لداخل ذلك الكهف وأريده منه أن يرافقني، والخطة هو أن نتسلل في ظلام الليل القادم بعد قليل، لكنه رفض، رفض وهو يتوسل ويرسم لي بأن الموت سيكون مصير من يذهب هناك وأنه لا يريدني أن أموت كما ماتت والدته من قبل، حاولت أن اقنعه بأن الرحيل من هذا المكان هو أفضل من البقاء... لكنه لم يصغِ لي...

لقد وصلنا إلى نقطة الفراق يا شجاع، أنا لن أجبرك على فعل ما لا تريده، لقد قمت بحمايتي وأعطيتني الشجاعة

لأقاتل، لن أنساك ما حييت، أتمنى أن تغييّر رأيك وتأتي، فلا أريد أن تبقى وحيدًا هنا، لكنك لا تريد هذا! سامحني يا شجاع، هذه هي لحظة الوداع!

كان ينظر نحوي بعينين تدمعان مترددًا في أن يغادر وأنا أخبره بأن يذهب ويعود للمخبأ، كنت أتمالك نفسي من أن أستسلم للبكاء وهو يبتعد بضع خطوات ثم ينظر ناحيتي آملًا أن أغيّر رأيي بنظراته المتوسّلة، بقينا هكذا إلى أن غادر مبتعدًا عني...

وداعًا يا شجاع!

حلّ الليل، هذه هي الليلة الأخيرة قبل أن أخسر طريق الهرب من هذا العالم، لو كان معي المزيد من الأيام لتجنبت هذه الليلة بسبب القمر متكامل النمو في السماء...

وضعت خطة وأخذت بعض الحجارة وحبلًا من الأشجار بعد أن أزلت الألسنة منها وأنا أشعر بتقزز، حاولت أن أتمالك نفسي قدر استطاعتي، فالتوتر مرتفع لأنني لا أمتلك سوى فرصة واحدة فقط...

تسللت وأنا أختبئ خلف أيّ شيء يصلح للاختباء من خيم وأعمدة خشبية وصخور، كنت أفعل هذا بخفّة متجنبًا أماكن

إنارة القمر ومتجنبًا أن أصدر أيّ صوت من قدميّ ويبدو أنني قد تعلمت بعضًا من مهارات شجاع في النهاية!

كان هناك بعض الحراس يتجولون في الأرجاء، لا بد أنهم يحرسون القرية من اقتراب الكائنات المفترسة في الليل، التوتر يرتفع أكثر لكني في النهاية استطعت تجاوزهم ببعض من الصبر وبإلقاء بعض الحجارة لأشتت انتباههم إلى مكان آخر إلى أن ابتعدوا عني...

أنفاسي تتصاعد بينما اقترب أكثر من الكهف، لقد بقي أمامي ما يقارب من مئتي متر... ربما هناك ثلاثمائة متر أخرى داخل الكهف، هذه هي المسافة التي تفصلني عن النجاة، هنا تفاجأت بأحدهم يخرج من خيمة قريبة مني! تبادلنا نظرات مرتعبة ولم أنتظر أن أرى ردّ فعله أكثر...رميت عليه الحجارة فسقط متألمًا وأطلقت لساقيّ العنان وركضت بسرعة نحو الكهف، رافق ذلك صراخ من الرجل الذي سقط، وهنا خرج من الخيم العديد منهم!

لا أعلم من أمسك بذراعي، ثم أمسك آخر بذراعي الأخرى، حاولت الهرب لكن قبضتهم كانت من حديد...

قاموا بسحبي نحو مكان ذي إنارة جيدة من أشعة القمر، ثم تقدّم شخص ثالث وفتح فمي عنوة، ثم أخرج صرخة

غضب حين رأى أنني أمتلك لسانًا!

لقد انتهى كل شيء...

كانوا يجرونني بعنف نحو الصخرة وأخذوا مني الحبل وألقوه جانبًا، تملكني الهلع، سوف يقطعون لساني وأنا عاجز عن فعل أيّ شيء، ثم سأموت ببطء وعذاب من النزيف والألم، هذه ليست أفضل وسيلة للموت!

ثبت أحدهم رأسي على الصخرة، بينما دخلت امرأة إلى داخل الكهف لتنادي العجوز لتؤدي الأخيرة مهمتها!

من الجيد أن شجاع قد عاد لمخبئه ولم يأتِ معي، كانوا سيمسكون به أيضًا...

وداعًا يا شجاع...

في لحظات استسلامي لقدرّي، أنار الأفق بنور عجيب، تلفت الجميع نحوه ثم أصابهم هلع وتركني من كان يثبت رأسي، نظرت نحو النور، إنها نيران تشتعل في كل مكان وتنتشر بسرعة، من الواضح أنهم يرون النار لأول مرة...

إذن من أشعل النار هو شجاع! لكن كيف استطاع أن ينشر اللهيب بهذه السرعة في جميع أرجاء القرية؟!

هنا قفزت الإجابة أمامي، جرذ يركض مسرعًا وقد ثُبتَ غصن مشتعل في ذيله، لقد أطلق شجاع العشرات من هذه الجرذان!

حاول الأشداء من رجال القرية قتال النار! لكن انتهى الأمر بهم بالاحتراق والهرب ونشر المزيد من النيران...

ثم تخلّى من كانوا يثبتون يديّ عن شجاعتهم وركضوا مبتعدين عن القرية في خوف، ذلك الخوف الناشئ عن ظلام الجهل... لا بدّ من أن الناجين سيجعلون النار إلهًا لهم بحمقهم وجهلهم!

قفز أمامي شخص صغير القامة ذو شعر أسود أطول منه، مدّ يده التي امتلأت بالتقرحات لي وهو يبتسم ممسكًا غصنًا مشتعلًا باليد الأخرى... لقد كان شجاع...

لقد أحرقت يديّك وأنت تحاول...

أنت لن تكفّ عن إنقاذي وإبهاري بذكائك يا شجاع!

وقفت وأخذت الحبل بيدي وأسرعنا بالدخول إلى داخل الكهف...

وكلما خرج لنا أحد رجال القرية نواجهه بالنار، ليهرب خائفًا قبل أو بعد أن يصاب ببعض الحروق!

ثم وصلنا إلى منتصف الكهف، كانت العجوز تجلس في منتصف الغرفة على كرسي حجري، وتداعب على حجرها إحدى الجماجم الملطخة بالدماء الجافة من تلك المنتشرة حولها في كل مكان، من قرب ترى أنها أقبح بمراحل ومخيفة أكثر، تراجع شجاع للخلف، قلت له:

- «ابقَ هنا بالشعلة لتمنع أيّ من الرجال من الدخول، أنا سوف أواجه هذه»

تقدّمت، حين رأتني صدمت وصرخت كما تصرخ المشعوذات في غيض، علا الصراخ وكأنها تستدعي أتباعها، قلت لها:

- «لن يأتي أحد، إنهم يهربون من القرية»

ألقت الجمجمة علي في حنق لترتطم في وجهي وتصيبني بكدمة.. كان هذا مؤلمًا، تلفت نحو كرسي العجوز لأجد الكرسي فارغًا! لقد قفزت من مكانها بسرعة لا تتناسب مع عمرها، وهجمت علي بأظافرها الطويلة...

تراجعت للخلف لكنها استطاعت صنع العديد من الخدوش والجروح على صدري، هذا يكفي أيتها العجوز! أنا لست فخورًا بأنني سأقاتل عجوزًا وسأطوي هذه الذكرى وأحاول

نسيانها، لا خيار أمامي سوى القتال!

بعد كل ما واجهته حتى هذه اللحظة فأنا لن أخاف من عجوز شمطاء! إن قوتها تكمن في قدرتها على التحكّم برجالها، والآن لم يعدّ هناك أحد تتحكّم به....

التفت بسرعة وبشكل غير متوقع، تراجعت إلى الجانب ووضعت لها ساقًا أمام قدميها، فسقطت على الأرض، حاولت الوقوف لكني ثبتها وأسرعت بتقييدها بالحبل وقد جرحتني في يديّ وهي تقاوم بأظافرها أكثر من مرة في أثناء تقييدها! إنها تستطيع طعن أيّ شخص بهذه الأظافر وربما تستطيع قطع الحبل إن لم أكن حذرًا.

وضعتها على الكرسي وقمت بالتأكد من تقييد يديّها جيدًا...

لم تتوقف عن الصراخ والالتواء، أقسم أن ملامحها المرعبة تقول أنها ستأكلني حيًا بأسنانها العفنة إن استطاعت التحرر...

عدت إلى شجاع الذي كان يراقب الأمر، قلت له:

- «هيا بنا، فلنغادر المكان بسرعة»

كان شجاع خائفًا لكني أمسكت بيده لأشعره بالأمان ومررنا

من قرب العجوز، التي فور أن شاهدت الفتى جنّ جنونها، وبدأت تصرخ وتلتوي وتحاول تحرير نفسها بينما يتمزق جلدها ودمائها تنزف!

أمسك شجاع إحدى الجماجم ورماها على وجه العجوز في تحدٍ ثم اختبأ خلفي، وارتطمت الجمجمة بأنف العجوز مما جعلها تنزف منه، هذا وجنونها يزداد! سمعنا تحطّم عظمٍ في ذراعها، وبدأت تنهش بأسنانها الذراع الأخرى!

هذا المشهد لن يغادر كوابيسي طيلة حياتي!

أسرعت بالركض وأنا أشدّ يد شجاع، ترى ما العلاقة التي تجمع تلك العجوز بشجاع؟! لمَ جنّ جنونها حين رأته؟

كنت أنظر إلى شاشة «بوصلة النجاة»، لقد أصبح الخط الأبيض خلف النقطة الحمراء، الارتفاع صحيح، ولم يبقَ سوى القليل حتى ينتهي الكابوس...

حين وصلنا وقفت ومشاعر لا توصف من الصدمة والرعب أختلط في كياني...

على الجدران مكتوب في كل مكان عبارات «**الكلام إثم**»، «**يجب أن نُطَّهر من إثم الكلام**» و«**اللسان هو أصل كل الشرور**»!

من قام بكتابة هذا؟! هل هناك أحدٌ غيري يعرف الكلام والكتابة في هذا العالم؟!

الصدمة الكبرى كان ما يوجد أمامي الآن...

لن أستطيع وصف المشاعر التي داهمتني حين رأيت ذلك الباب!

باب معدني ذو قفل إلكتروني! ما الذي يحدثّ يا إلهي؟! هذا لا ينتمي إلى هذا العالم!

كان صراخ العجوز يتعالى، ربما استطاعت التحرر من القيد أو أتى من يساعدها، والنار الموجودة على الغضن بدأت تخمد ولن تكفي لكي ندافع عن أنفسنا أكثر!

يجب أن ندخل الرقم السريّ الصحيح للقفل الإلكتروني، لكننا لا نمتلك أي دليل يدلّ على الرقم السريّ!

أنا لا أفهم ما الذي يحدث لكنني لن أستسلم بعد أن قطعت كل هذا الطريق إلى هنا...

بدأت أجرب أرقامًا بعشوائية ومع ضغط الأزرار كان يخرج صفير مختلف، اللعنة كل ما قمت بتجربته كان خاطئًا... كان عقلي يعمل كالصاروخ، هناك عشرة آلاف احتمال من بين هذه الأرقام، ونحن لا نملك أيّ دليل، أعتقد أننا قد خسرنا

المعركة.

قال شجاع وهو يضع يده على الباب والصدمة تعلو وجهه:

- «ما..ما... ماما... ماما»

أيعني أنه هو وأمه كانا يعيشان بالداخل! ليس لدينا وقت لهذا! أمامنا مشكلة أكبر، حاولت مرة أخرى لكني فشلت...

هنا أمسك شجاع يدي وتقدّم هو نحو القفل، وبدأ بإصدار اللحن ذي أربع صفارات من فمه، ماذا تفعل يا شجاع؟! ليس هذا وقت الغناء...

حاولت أن أزيحه لكنه كان جادًا...

ضغط على الزر وهو يصدر أول نوتة من اللحن...

إن النوتة متطابقة!!!

هل تعني أن هذا اللحن... هو الرمز؟! أنت أتيت من المكان الموجود خلف هذا الباب، ربما وأنت طفل في سنواتك الأولى خرجت مع والدتك من هذا الباب، وسمعت الرمز عدة مرات وقد حفظها عقلك اللاواعي كلحن!

حاول شجاع أول مرة لكنه أخطأ بالنوتة الثالثة على الجهاز، بينما ظهرت العجوز ومعها العديد من الرجال في آخر

الممر، والغضن بيد شجاع ينطفئُ ويتحوّل إلى جمر يتطاير بسرعة كرماد...

محاولة ثانية فشلت وخرج صوت الرفض، والعجوز تصرخ بجنون وتركض نحونا هي ورجالها...

بينما المكان يصبح معتمًا وشجاع لم يعدّ يرى الأزرار أمامه، لم يتبقَ سوى محاولة أخيرة يائسة في الظلام قبل أن يمسكوا بنا...

أنا لا أرى ما يفعل، لكني أغني اللحن له... واستمع للنوتات

صوت الزر الأول.. نوتة صحيحة

صوت الزر الثاني.. نوتة صحيحة

صوت الزر الثالث.. نوتة صحيحة

صوت الزر الرابع.. نوتة خاطئة...

لا هذا صوت دقات قلبي الذي ارتفع وأصبح مسموعًا!

الآن ضغط الزر الرابع...

ولقد كانت نوتة صحيحة!

ثم فتح الباب ودخلنا قبل أن يكمل ربع مسافة الفتح، إن

أكمل الفتح فسوف يمسكون بنا ولا تفصلنا عنهم سوى عدة أمتار، تلفت ووجد زرًا على الجدار مكتوب أسفله «إغلاق اضطراري»، أسرعت وضغطت عليه فبدأ الباب بالإغلاق السريع، وقبل أن يغلق أدخلت العجوز يدها لتعلق بين طيات الباب، كانت تلوح بشراسة وتحاول الوصول إلى شجاع كي تمزقه، لكن الباب أكمل الإغلاق وسقطت ذراع العجوز التي قطعت أمامنا!

لقد نجونا.. لا أصدق بأننا نجونا... لكن الآن لدي ألف سؤال!

ما تفسير كل هذا؟!

المكان أمامي هو مدينة متقدّمة، ربما تدمر جزء من مبانيها، لكنها بحال تسمح للبشر بالعيش بها، وفيها يوجد شوارع وسيارات صدئة، تقدّمنا وأنا لا أفهم ماذا يحدث هنا؟!

هناك منازل مضاءة! ما مصدر الكهرباء؟! اقتربنا منها ووجدنا أنها خالية من البشر، تفحصت المباني ووجدت أن منها ما يحتوي على حواسيب ذات منظر يوحي بأنها متقدّمة للغاية!

- «أنت أتيت من هنا يا شجاع... هل هذا يعني أنك أتيت

من كوكب آخر؟! أنا لا أفهم شيئًا»

كان شجاع مصابًا بالذهول أيضًا... ربما حين رحل كان في عمر صغير لا يجعله يذكر الكثير عن هذا المكان... ثمّ أشار نحو مبنى ذي شكل مختلف، يبدو أنه شَعَرَ بألفة لذلك المبنى...

والعجيب أن جهاز بوصلة النجاة يشير إلى النقطة نفسها، وصلنا إلى المبنى وحين دخلناه أنيرت الأنوار....

دعني أصف لك المشهد...

مختبر أبحاث كما توقعت، هناك مختبرات وأجهزة تقنية لا أعرف ماهيتها في العديد من الغرف، والممرات تحتوي على يمينها ويسارها مكتبات ضخمة فيها الكثير من الكتب المتنوعة، لا بدّ من أن هواة القراءة سيرون هذا المكان كجنة لهم، مشينا إلى أن وصلنا إلى قاعة ضخمة في منتصفها يوجد جهاز حاسوب على طاولة، وهناك ألعاب للأطفال متناثرة في الأرجاء، أما في نهاية الغرفة فكانت هناك غرفة زجاجية تحتوي على كرة صغيرة تتوهج بالأبيض وتطفو في منتصف الهواء وتحيط بها سحابة كثيفة بنفسجية اللون بداخلها ملايين النجوم التي تتلألأ... أعتقد أن هذا هو مخرجي من هذا العالم!

الحمد لله، الآن سنهرب أنا وأنت يا شجاع...

لكن شجاع كان ينظر للمكان ويبحث عن شيء ما، أمسك لعبة دب محشّو على الأرض، احتضنه بقوة، لا بدّ من أنه قد نشأ في هذا المكان...

بعد أن احتضن الدب المحشو ومن دون مقدمات بدأ جهاز الحاسوب بالعمل لوحده ليعرض مقطع فيديو...

كان الحاسوب يعرض مشهدًا لامرأة جميلة تحمل طفلًا رضيعًا يمسك بدب محشو وبقربها رجل وقور، نزلت الدموع من عيني شجاع وهو يقول وقد وضع يديه على الشاشة:

- «ماما... ماما»

إذن هذا الرضيع الذي بيدها هو شجاع...

قالت المرأة في مقطع الفيديو:

- «مرحبًا يا إيثان، لقد تردّدت كثيرًا في تسجيل هذا المقطع، أن تشاهد هذا... يعني أنني أنا ووالدك قد متّنا، لا أريد أن أفكر في احتمالية أن تترك وحدك في هذا العالم، لكن يجب أن أقوم بتسجيل هذا المقطع، فهذه مسؤوليتنا للحفاظ على العلم... إيثان، إن متّ فاعلم أنني قد قتلت من

أولئك القتلة ذوي العقيدة المشوّهة، نحن في حرب غير عادلة معهم، لقد قتلوا الكثير منا، إنهم يروننا كالشياطين ننشر الإثم، ويجب قتلنا مهما كان الثمن...

أما نحن، فنحن من نحافظ على العلم من الاندثار يا بني، ولم نرضَ أن نقتل روحًا باستخدام علمنا...

العالم يا إيثان ضخم، ضخم للغاية، هناك مناطق فيها أشجار حية، فيها كائنات لم ترها بعد، وفيها الكثير من البشر الذين هربوا منذ زمن من تلك الديانة، من وقت لآخر نخرج من هنا لنبحث عنهم في هذا العالم الواسع، ونحاول إنقاذهم من الجهل أو الموت قبل أن تصلّ لهم تلك الجماعة الساديّة... ولقد أرسلنا قبل أشهر بعثة ضخمة بعد أن قلت أعدادنا للبحث عن بشرٍ لم تتلوث أفكارهم بعد، وقد نجحت البعثة في ذلك ووجدنا بشرًا مسالمين، لكن باغتهم أولئك الساديون الذين كانوا يتتبعون البعثة وقتلوا الكثير من رجال البعثة...

كنا نظن أنهم ماتوا، لكن وصلنا نداء استغاثة منهم، إنهم أصدقاؤنا وعائلاتنا ويجب أن نخرج كي ننقذهم.

أنا خائفة، لا أريد أن أموت وأتركك وحدك في هذا العالم القاسي، لكني أثق بأنك قادر على النجاة، لا تسألني لماذا أنا واثقة بهذا؟! لأنك أظهرت علامات ذكاء مبكرة وأنت رضيع

في ذراعي... أنت لم تسمع بعد عن تأثير فلين Flynn، إنها دراسة تنصّ أن كلّ جيل يأتي بمعدل ذكاء أعلى من الجيل الذي يسبقه، أنا أعلم أنك ستكون أذكى مني ومن والدك ونحن نخبة العلماء هنا، لهذا أنت سوف تنجو إن حدث لنا مكروه...

في هذا المقر يوجد كلّ شيء توصل له البشر من علم، كتب، أجهزة، مختبرات علمية، برامج، وذكاء صناعي متقدّم ليساعدك على التعلّم، لقد جمعنها واحتفظنا بها في هذا المكان بعيدًا عن ذوي العقيدة المشوّهة...

هذا إرث البشرية لك ولأبنائك، فلا تفرّط به، العلم يا إيثان هبة لكنه أمانة ذات حمل ثقيل، يجب أن تحافظ عليه وتحاول أن تنقذ البشرية به من ظلام الجهل وتنقله لمن سيأتي من بعدك... أنت أمل هذا العالم...»

لم يتوقف شجاع أو على ما يبدو أن الأصح أن أناديه بإيثان عن البكاء...

شعرت بالشفقة نحوه، إنه يفتقد والدته وكل ما تركته له هو هذا الحملّ الهائل... لا زالت التساؤلات قائمة ولم أحصل بعد على إجابة ما الذي يحدث هنا... وكأن مقطع الفيديو سمع أفكاري (ربما هو كذلك فالتقنيات الموجودة حولي

متقدّمة لا أفقه فيها شيئًا)

- «أعتقد أنك تتساءل يا إيثان لماذا العالم يبدو هكذا، هل أنت مستعد لأول درس في التاريخ أعطيه لك....

سنعود خمسمائة عام للوراء، إلى عام ٢٠٥٠، لقد شهدت السنوات الأخيرة زيادة غير متوقّعة في أعداد البشر، سبب ذلك نقصًا في الطاقة والموارد... وأشعل فتيل الحرب العالميّة الثالثة...

كان الساسة يتلاعبون بشعوبهم ويعطونهم وعودًا كاذبة وآمالًا زائفةً مع تشويه الحقائق وتلاعب بمشاعرهم...

وأعلنت بعض الدول بكلّ شفافية أن هناك دولًا أخرى يجب أن تموت حتى تستمر الحياة على هذا الكوكب الذي أصبح مزدحمًا بالبشر...

في ذلك العام اكتشفت إحدى الدول مصدرًا للطاقة لصنع بطاريات فائقة الطاقة التي تكاد لا تنفد وجعلتها حصرًا لها.... وتغيّرت قوى العالم وصنع ذلك شرخًا في علاقات الدول ببعضها، لتبدأ حرب الطاقة والنجاة، وتزايد التوتر الدولي لتتصاعد تهديدات الساسة لبعضهم البعض معربين عن استعدادهم لإظهار أقصى قدراتهم الهجومية...

في البداية كانت حروبًا صغيرة، ثم أصبحت حروبًا أكبر، وفي وقت قصير تصاعد التوتر لتنطلق صواريخ ذات قدرة تدميرية هائلة لتمحو جزءًا من إحدى القارات وتبعها تبادل غوغائي لصواريخ مختلفة الأنواع، أفرغت فيه كل الدول جزءًا كبيرًا من مخزون الأسلحة الصاروخية المدمرة والمحرمة قبل أن يصل القصف لها...

المشهد أصبح أقرب لسيل من النيازك تحلّق في كلّ اتجاه وتعج بها السماء...

بعد تلك الحرب، انقرضت العديد من الحيوانات والنباتات، أما البشر فقط نجا ما لا يزيد عن ٢٪ منهم، وخسر معظمهم الكثير، إما من عائلاتهم أو فقدوا بعضًا من أطرافهم أو في أحسن حال بصدمة نفسية من مناظر الموت الشنيعة، كانت فاجعة، ومعظم الناجين قابلوا الأمر بالغضب الشديد، قاموا بلوم الساسة على كل ما حدث، وقتلوا من نجا من أولئك الساسة بعد تعذيبهم بشكل شنيع»

تغيّرت الشاشة ليظهر مقطع فيديو للأنقاض، تخرج امرأة من الناجين وهي تبكي بحرقة وتقف أمام بعض الناجيين، وهي تقول:

- «كل هذا حدث بسبب الأكاذيب السياسية، لقد خسرت

عائلتي، ابنتي الرضيعة وابني ذا الخمسة أعوام وزوجي، لقد ماتوا في هذا القصف الجنوني الذي لا ذنب لنا به، لو توقف الساسة الملاعين عن الكلام لمضت الحياة على الأرض بسلام، لكن حبهم للسلطة جعلهم يكملون ألاعيبهم القذرة إلى أن خرجت الأمور عن السيطرة...»

تخرج امرأة أخرى قد خسرت ذراعًا من قربها وتصرخ:

- «لطالما استخدم البشر الكلام للكذب وإقناع الضعفاء بوقائع مزيفة، إن الكلام لعنة، سلاح خطير بيد الأوغاد من البشر، إنه إثم يجب أن نطهر البشرية منه، نحن لن نخاطر بأن يتكرر الأمر في المستقبل، لن نتحمّل خسارة أحد من عائلتنا في المستقبل»

مشهد لنفس المرأة وهي تقف أمام الكثير من الناس:

- «نحن نخبة من نجا، نحن من سيطهر البشرية من جرائمها، لقد وضعنا عقيدة لتطهير البشر وحماية مستقبلهم، إن اللسان هو أصل كلّ الشرور، الكلام هو إثم، يجب أن تُطهروا من إثم الكلام بقطع ألسنتكم... يجب أن يقوم الجميع بذلك، وكل من يرفض الانضمام يعتبر مصرًا على القيام بالإثم وسيقتل»

ثم تخرج لسانها وتقوم بقطعه أمام الملأ....

توقفت الشاشة عن العرض...

دعني أرتب الصدمات...

الصدمة الأولى... أنا لست في ماضٍ سحيق كما كنت أظن، بل في مستقبلٍ سحيق! بدأ بحرب عالمية ثالثة غيّرت معالم الكوكب... فيما بعد علمت أنه قد تلاشى جزء هائل من الغطاء النباتي بعد تلك الحرب وأصبحت معظم التربة غير صالحة للزراعة بها وماتت الحيوانات العاشبة ولكن الحيوانات التي تعيش على اللحوم أو الحشرات هي من استطاعت العيش....

الصدمة الثانية هي أن أولئك المتوحشين همّ أحفاد أناس متحضرين، لكن بغياب الكلام، لم يعدّ العلم ينتقل من جيل لآخر، وبالتدريج عاد البشر إلى الجهل وخسروا ما أكرمنا الله به من علم...

الصدمة الثالثة هي أن مسؤولية نجاة العالم تقع الآن على ظهر إيثان! وإن هذا لحملٌ ثقيل على كاهل فتىً صغير، لهذا سأعطيه خيار أن يأتي معي ويترك هذا العالم!

قلت له:

- «إيثان..»

ضرب على صدره وهزّ رأسه رافضًا وقال:

- «شجاع... شجاع»

لا يريد أن أناديه إيثان... هو فخور بالاسم الذي أعطيته إياه

- «حسنًا يا شجاع، دعني أشرح لك الأمر»

حاولت أن أوصل له بالرسم ما استطيع من رسالة والدته ثم أخبرته أن يأتي معي، هزّ رأسه بعنف...

- «لكن لماذا؟! العالم هنا خطر للغاية يا شجاع!! هناك عوالم أفضل»

قال وملامح الجدية على وجهه وهو يحاول التكلّم بصعوبة:

- «شجاع... أمل... العالم...»

بكيت واحتضنت الفتى، إن هذه المسؤولية لحملٌ ثقيل، لكني أرى أمامي قائدًا عبقريًا سيرشد البشرية نحو الخلاص...

نظرت نحو بوصلة النجاة، لا زلت أمتلك ما يقارب عشرين

ساعة، سأقضي ما تبقى من هذا الوقت مع شجاع، وسوف أعلمه ما أستطيع، أعلم أنه لن يكون كافيًا لكنني سأمهد له أول درجٍ من درجات العلم....

بحثت بين الكتب عن تلك التي تتحدّث عن الأساسيات وأسماء الأشياء، وجلست بقربه وبدأت أعلمه...

أخبرته عن العالم كيف كان، علمته بعض الحروف، علمته أسماء الحيوانات، أخبرته بأن هناك عوالم ضخمة في الفضاء من كواكب أخرى وشموس ونجوم... وعالم لا يمكن أن تراه بالعين المجردة من بكتيريا وجراثيم، وخلال كل هذا علمته كيف يستخدم الحاسوب وكان يصغي بكلّ حواسه لكل ما قلت...

في أثناء ذلك تعلمت أنا بعض الأمور عن هذا العالم... لقد قام أجداد شجاع الذين استطاعوا الهرب من تلك الجماعة بتأسيس هذا المقر... وقد دوّنوا حكايات أحداث من بدأ الحرب حتى تأسيسهم لهذا المخبأ...

كانت بعد الأحداث التي جرت بالحرب مفزعة مثل استخدام أسلحة لم تسمع عنها من قبل، مثلًا صواريخ تحفر في طبقات الصخور ثم تنفجر في باطن الأرض لتمحو كامل المنطقة فوقها، ويبدو أن الحفرة العميقة التي يسقط

الشلال فيها عند الجرف في الخارج قد تشكلت من إحدى تلك الصواريخ، وهناك نوع مربع من الصواريخ أيضًا يذيب الضحايا في عذابٍ بطيء مرير يجعل الضحايا تتمنى الموت رحمة من الألم الذي لا يطاق، الكثير من الأسلحة المحرمة تمّ استخدمت من دون التفكير بالعواقب، وكان هذا له دور في تشكيل الصدمة هائلة للناجين من الحرب، وربما هذا دفعهم لجنون صنع ديانة اللسان الآثم المشوهة تلك!

ومن خمسمائة عام حاول أعضاء الجماعة المشوهة اقتحام المقر مراتٍ عدة لكن الباب الحصين منعهم، كانوا في ذلك قادرين على الكتابة، وهذا يفسر الكتابات الموجودة خارج باب المقر على جدران الكهف...

احتجت لأن آخذ وقتًا للراحة، وهنا تفقدت المكان، وجدت أطعمة مجمّدة مختلفة كافية لبقاء الكثير من الأشخاص في هذا المكان مدى الحياة، وبطاريات من نوع متطور مشحونة، أعتقد أنها البطاريات فائقة الطاقة التي تحدثت عنها والدة شجاع، هذا جيد، أنا لن أخاف على شجاع سوى من الوحدة هنا... خرجت في جولة إلى الخارج ووجدت هناك متاجر مهجورة لكنها رفوفها مليئة بكل ما تحتاج وقد وجدت بعض الملابس التي تصلح لي، كان هذا جيدًا لأن ملابسي

قد تمزقت من المعارك السابقة، الغريب أنني لاحظت أن جراحي جميعها قد التأمت واختفت كأنها لم تكن! لا أعلم ما السبب، ربما هي تقنية متقدّمة للمكان لا أعرفها تقوم بعلاج المرضى...

وضعت فرشاة أسنان في جيبي لأعطيها لشجاع، وفي أثناء خروجي، بحثت عن سلاح قد أدافع به عن نفسي للمغامرات القادمة، لكن أقرب شيء وجدته كسلاح في هذا المكان هي سكاكين مطبخ مزخرفة بنقوش عصرية، لقد أبدع من قام بصنعه، يبدو أنهم ابتعدوا عن صنع الأسلحة لأنهم لم يريدوا استخدام العلم في العنف! قررت أن آخذ سكينًا ووضعته في جراب جلدي وجدته في المتجر ووضعته على خاصرتي...

نظرت إلى الوقت، لقد تأخرت عن شجاع، يجب أن أعود الآن...

أكملت تعليم شجاع، لقد كان يمتص المعلومات ويخزنها بسرعة، بقيت أدرسه وهو يطلب المزيد، استمر الأمر هكذا إلى أن تملكني الإرهاق بعد ساعات واستسلمت للنوم...

لا أعلم كم نمت لكني استيقظت على صوت تنبيه من جهاز بوصلة النجاة... لقد تبقت ساعة واحدة لي....

لقد مرّ الوقت بسرعة...

كان شجاع جالسًا أمام الحاسوب، ويبدو أنه لم يتوقّف عن التعلّم في وقت نومي...

- «شجاع... لم يبقَ الكثير لي هنا»

«- شجاع... يشكر مازن، شجاع... لن ينسى مازن»

لقد تحسن كلامه في هذا الوقت القصيرا! ويبدو أنه تعلّم بعض المصطلحات...

- «كمّ أنا فخور بك!»

ابتسم ابتسامته البريئة، واستغللت ما تبقى من الوقت في إعطائه بعض النصائح:

- «تأكد من أن تطهو الطعام، وتوقف عن أكل الأشياء الغريبة، فهي مليئة بالجراثيم التي أخبرتك عنها، لقد وجدت فرشاة الأسنان هذه في المتجر، تأكد أن تقوم بتنظيف أسنانك حتى لا تخسر أسنانك وينتهي الحال بهم كأسنان تلك العجوز،....»

الأمر صعب، لقد تعلّقت بشجاع، وأراه كابن لي...

- «دقائق قليلة وينتهي وقتي، ويجب أن أذهب»

احتضنني لآخر مرة، ثم توجهت نحو المهرب من هذا العالم...

- «وداعًا يا شجاع، أنا لن أنساك ما حييت»

ثم قفزت إلى داخل المخرج وأنا أراه يبكي بحرقة وهو يحاول جاهدًا أن يحافظ على ابتسامته....

فور أن دخلت... شعرت بذلك الشعور، إنني أتمزق وأتحول إلى قطع صغيرة فأصغر، كان المشهد يتحرّك بسرعة، لكني كنت مدركًا لما يحدث، كان شجاع يتعلّم من دون توقف، كان يكبر أمامي، ربما مرّ خمسة أعوام أو أكثر، يقوم بدراسات في المختبر، ويبدو أنه قد أتقن الطهو، لا زال المشهد يتسارع، لقد أصبح شابًا كبيرًا وقويًا، إنه يستعد للخروج من المخبأ، ويستعد لخوض معركته الأخيرة، خرج وبقي المشهد ثابتًا لفترة طويلة، هل هذا يعني أنه قتل؟!

انسابت الدموع من عيني، إنه لم يعدّ!

ثم في اللحظات الأخيرة قبل أن تتلاشى خلايا جسدي، دخل شجاع وقد أصبح رجلًا مفتول العضلات إلى المخبأ وبرفقته أعداد هائلة من البشر، أستطيع رؤية السعادة على وجهه، لا زلت أرى تلك الابتسامة البريئة!

لقد نجح وانتصر في معركته لتحرير البشرية... لقد قام بدوره على أكمل وجه...

أنا فخور بك يا عزيزي...

والآن بعد أن ارتاح ضميري، يجب أن أكون مستعدًا للمكان التالي مهما كان....

الفصل الثاني عالم التحكّم البيولوجي!

هذه المرّة تلاشى الخوف من الانتقال... لا أعتقد أن المكان الذي وصلت له سيكون أسوأ من عالم الصمت القاتل الذي هربت منه، حين فتحت عينيّ وجدت نفسي في صحراء خالية تمتد للأفق، لقد انتقلت بالفعل!

الجوّ حار للغاية، لقد هربت من مكان رطب بارد مليء بالضباب إلى مكان جافٍ حار، هذا ليس عادلًا...

أمسكت جهاز بوصلة النجاة ونظرت لشاشته، المثلث الذي يدلّ على موقعي قد أصبح أصغر حجمًا وكذلك النقطة الحمراء، أعتقد أن هذا يعني أن المسافة بعيدة للغاية، كما أنّ هناك مثلثًا أخضر قد ظهر بالقرب من النقطة الحمراء على الخريطة، لقد سئمت خروج رموزٍ جديدة، لقد ظننت أنني احترفت التعامل مع هذا الجهاز لكن الجهاز يثبت خطأ توقعاتي!

العد التنازلي بدأ بمئةٍ وعشرين ساعة، أي أنني أمتلك خمسة أيام لأصل للمخرج من هذا العالم...

هذه فترة زمنيّة ممتازة وأعتقد أنني -إن خرجت حيًا من هذه الصحراء- فسأذهب إلى المثلث الأخضر في البداية قبل

الخروج من هذا العالم...

مشيت على الكثبان الرمليّة الناعمة والعرق يتصببُ مني... شعور الجفاف والعطش يتزايد...

أرجو ألا يكون هذا العالم عبارة عن صحراء شاسعة تغطي الكوكب..

كم مضى من الوقت على السير؟! نصف ساعة فقط، أنا لم أعدّ قادرًا على تحمّل الحرارة أكثر!

ويبدو أنني بدأت أتخيّل أشياء تحدث بسبب ضربة شمس، في البداية سمعت صوتًا أقرب لصوت صاروخ سقط بقوة وانفجر، تناثرت الرمال وأطاحت بي موجة الهواء الناتجة عن الانفجار إلى الخلف وسقطت على الرمل كحجر قُذفَ على سطح الماء، حين تمالكت نفسي رأيت شجرةً عملاقة طويلة للغاية أمامي! أقسم أنّ المكان كان خاليًا! من أين خرجت هذه الشجرة؟! لا يمكن أن تكون قد نبتت في لحظات هكذا؟!

لقد جننت بسبب الحرارة الشديدة!

اقتربت من الشجرة، إنها شجرة غريبة لونها بين البني والأصفر، المثير للجنون أنني لا أستطيع رؤية قمتها!

إنها لا تبدو كأيّ شجرة أعرفها، وضعت يدي عليها، أهذا

الذي عليها هو شعرٌ أشقر اللون؟!

هنا سمعت صوتًا خافتًا:

- «هل تحاول قتل نفسك يا هذا؟!»

- «من.. من يتحدّث؟!»

تلفتت حولي في جنون لكني لم أجد أحدًا، قال الصّوت:

- «انتظر قليلًا، أنا قادم إليك»

لحظة واحدة! أقسم أن الصّوت قادم من أعلى الشجرة!

فجأة هبط حبل من السماء! ونزل رجل بهذا الحبل بسرعة!

كان رجلًا يرتدي الزي العربي القديم بعمامة وخنجر على جانبه، ويبدو عليه الأصالة العربيّة والرجولة، قال:

- «من تكون يا أخي؟ لا يعقل أن يقطع هذه الصحراء عاقلٌ مشيًا على الأقدام، كيف وصلت إلى هذا المكان القاحل!!»

بعد أن تمالكت نفسي قلت:

- «أنا ضائع وبحاجة للمساعدة، سأموت من العطش»

- «نحن فرسان الصحراء، أصحاب الكرم وحسن الضيافة، تعال معي»

- «إلى أين؟»

- «تشبث بالحبل»

فور أن أمسكت الحبل وأنا أتساءل ماذا يقصد بالأعلى، نادى الرجل:

- «ارفع يا أبا الحارث»

بدأ الحبل يرتفع، يرتفع بتسارعٍ كبير، تشبثت أكثر بالحبل وأنا أشعر أنني سأسقط في أيّ لحظة، أنا أرتفع نحو السماء بسرعة جنونية...

وما هي إلا ثوان حتى تباطأ الحبل ثم توقف، لقد ارتفعنا مسافة كبيرة جدًا، وأنا الآن فوق سطح غريب مليء بالعشب البني، أمسكني أحد الرجال وسحب الحبل نحوه وقال:

- «لا عليك، تستطيع ترك الحبل الآن»

نزلت وتلفت للمكان، أمامي أرضٌ مليئة بالعشب في منتصفها جبل ويوجد العديد من الخيم بدوية الطراز في الأرجاء وهناك سور معدني يحيط المكان وأعمدة مثبتة في الأرجاء، ومن بعيد فأنا أرى الصحراء كأنني أقف على ارتفاع شاهق، أين أنا يا إلهي؟!

قال الرجل الذي كان يرافقني وقدّ وضع قربة ماء في يدي:

- «تفضل... ماء عذب»

أخذت قربة الماء وشربت ثم قلت:

- «أشكرك، كدت أموت من العطش»

وفجأة تحركت الأرض، اختلّ توازني وكدت أسقط لولا أن أمسكت بالسور، الأمر أشبه بانطلاق سيارة بسرعة على طريق وعرة...

- «ماذا يحدّث؟! أهذا زلزال؟!»

- «يبدو أن هذه أول مرة تصعد فيها على سفينة صحراء!»

سفينة صحراء؟! أليس هذا ما يطلق على الإبل؟ قلت:

- «ما الذي تعنيه بذلك؟!»

رأى الرجل الصدّمة على وجهي، فابتسم وأشار بيده نحو الأفق، كان الهواء يتدفق بسرعة، دققت النظر إلى حيث يشير أصبعه، ثم تراجعت إلى الخلف في صدمة... بعيدًا في الأفق أرى مؤخرة رأس ناقة!!

- «هل نحن فوق ناقة عملاقة؟!»

قال وهو يبتسم بوقار:

- «تعال معي حتى أريك المكان»

كنت أمشي محاولًا الحفاظ على توازني خلف الرجل بينما هو قد أعتاد السير والناقة العملاقة تتحرك، قال الرجل:

- «أنا أبو اليمان، قائد عشيرة فرسان الصحراء»

- «أنا مازن»

- «ومن أيّ قارة أتيت؟!»

- «قارة؟! هل يوجد هنا قارة تدعى أسيا؟»

- «لا!»

- «أنا... لا أعرف»

- «ماذا تعني بلا تعرف؟!»

إن أخبرته بأنني أتيت من عالم آخر فسيتهمني بكلّ تأكيد بالجنون، لهذا قلت:

- «لقد فقدت جزءًا كبيرًا من ذاكرتي»...

وأنا لم أكذب عليه بهذا الكلام، فبعد أن وصلت إلى بُعد نسيج الزمن فقدت جزءًا كبيرًا من ذكرياتي...

- «هناك من يفقد حياته في غضون ساعات في الصحراء، أنت محظوظ بأن الأمر انتهى بك بفقدان الذكريات عوضًا عن حياتك بعد السير لساعات تحت أشعة الشمس، ربما أتيت من قارة الصناعة العظمى رغم أن المسافة كبيرة، ألا تحمل في جيبك بطاقة تعريفيّة؟»

- «بطاقة تعريفيّة؟!»

- «لا تخبرني أيضًا أنك قد سرقت أو فقدتها، إنها مهمّة وتحتوي على معلوماتك الأساسية ومكان عيشك»

- «أنا لا أحمّل واحدة، لكن...»

قلت وأنا أشير نحو الاتجاه الذي كنت أسير نحوه:

- «كلّ ما أعرفه أنني يجب أن أذهب في هذا الاتجاه»

فكّر أبو اليمان قليلًا وقال:

- «في ذلك الاتجاه، هنالك المزيد من الصحراء يليها محيط، إن قطعت الصحراء والمحيط فسوف تصل إلى قارة كازينسكي»

- «قارة كازينسكي؟!»

- «هل نسيت هذا أيضًا؟!»

- «أعتقد هذا، أنا لا أعرف أيّ شيء عنها»

قارة الصناعة العظمى وقارة كازينسكي، هل طبيعة هذا العالم الجغرافي تختلف عن الذي أعرفه؟!

أكمل أبو اليمان وملامح الحيرة على وجهه:

- «لن تستطيع دخول القارة والتقدّم فيها من دون البطاقة التعريفيّة، قوات العسكر صارمون للغاية في هذا الأمر وربما سيُقبض عليك»

- «هل.. هل هناك طريقة لتجنب ذلك؟!»

- «فقدان بطاقتك التعريفيّة قد يسبب سجنك لعدة سنوات، حتى نحن الرحّالة ملزمون على إصدار واحدة من مستشفى مدينة الميناء عند الولادة، يقومون بأخذ الطفل وعمل فحوصات لازمة له ثم يقومون بتسليم البطاقة التعريفيّة... على أيّ حال لا تقلق، سنجد حلًا، أعدك»

يبدو أن البطاقة التعريفيّة هذه تعتبر شهادة ميلاد وهوية شخصية وجواز سفر في الوقت نفسه في هذا العالم...

لا خيار أمامي سوى أن أثقّ بالرجل، أكمل:

- «الآن انظر إلى هذا»

كان يشير إلى الجبل والذي هو بالطبع سنام هذه الناقة، كان يحتوي على مدخل كأنه منجم... اقتربنا أكثر إلى أن رأينا بعض الرجال يحفرون بداخله ويقومون بإخراج الدهن... قال أبو اليمان:

- «بعض من رجالنا يستخرجون جزءًا من دهن الناقة، نستخدمه في إعداد الطعام، وكوقود لإشعال النار، ونبيع جزءًا منه»

طوال السنين كنت أظنّ أن السنام هو ما يخزّن الماء لكن هذا درس حيّ بأنني مخطئ(7)... قلت:

- «ألا يؤلم ذلك الناقة؟»

- «بالطبع نعم، لقد قام أفضل مهندسي الميكانوبيولوجي والبيوميكاترونكس من المدينة الصناعية العظمى بزراعة المعدات، إنهم ماهرون بحق»

لا أعلم ما تلك التخصّصات، لكن من الاسم فهي تجمع بين الميكانيك وعلم الأحياء... وربما تختلف هذه التخصّصات عن العوالم أخرى...

أكملنا سيرنا، هناك رجال آخرون يقطعون وبر الجمل بمنجل وكأنهم يحصدون القمح...

قال أبو اليمان:

- «هناك عمل آخر للرجال هنا وهو جمع الوبر، من بعد جمعها تقوم نساؤنا باستخدامه لصنع خيامنا وملابسنا، وما يزيد نقوم ببيعه في منطقة البيع عند مدينة الميناء، إنّ ثمنه جيد لأن الوبر متين وخفيف وعازل جيد للحرارة»

- «منطقة البيع؟!»

- «هناك نلتقي بالعديد من التجار مرة كلّ شهر، يشترون منا الوبر كما قلت ونشتري من بعضهم المواد الغذائيّة التي لا تجدها في الصحراء كالأرز والفواكه والخضار وأيّ مواد أو معدات تفيدنا، أعتقد أن تلك المنطقة هي أقرب مكان نستطيع أن نوصلك إليه نحو وجهتك، سوف نصّل إلى هناك غدًا صباحًا إن شاء الله»

مدّ يده نحو مدخل أحد الخيم، دخلت للداخل ولحقني، إنها باردة مريحة للنفس فيها مجلسٌ أرضي...

- «هذه خيمة الضيوف، تستطيع أن ترتاح، وسنقوم بتناول الطعام مع بعضنا بعد قليل»

لقد أكرم الرجل ضيافتي وقدموا لي وجبة الطعام والمأوى، لقد حاولت أن أقلل من أسئلتي حتى لا أزعجهم وأبدو

كمتطفّل... وقررت أن أرتاح قليلًا...

أيقظني أبو اليمان، حين استيقظت قال:

- «تعال معي قبل أن تبدأ الناقة بالتوقّف!»

تبعت الرجل إلى خارج الخيمة في حيرة، لقد حلّ الليل، وأرجاء القبيلة مضاءةً بفوانيس مليئة بدهن الجمل، المنظر رائع ذو طابعٍ رومانسي...

مشينا مسافة إلى أن وصلنا إلى منطقة قريبة فيها حبال مثبته في الأرض، وضع الرجل حبلًا على خاصرتي، ثم أمسك حبلًا آخر بيده وصاح:

- «الليل حلّ، الليل حلّ»

ما الذي يفعله؟!

هنا بدأت الفوانيس تطفأ واحدًا تلو الآخر والمشهد يصبح ظلامًا دامسًا، قال لي وهو يمسك الحبل:

- «تشبث جيدًا بالحبال...»

كنت أتحسس موضع الحبل، وأنا أقول:

- «لماذا....»

- «هيا بسرعة!»

هنا توقفت الناقة عن الحركة وانحنت للأمام وهبط جسدها نحو أرض الصحراء، كدت أن أسقط لولا أنني مثبت بالحبل، تبع نزولها انحناءة للأسفل فمال جسدي نحو الجهة المعاكسة ثم توقف كلّ شيء...

- «كان هذا مرعبًا يا أبا اليمان؟!»

- «أنا لم أحضرك هنا لتعيش تجربة نزول الناقة، بل من أجل أن ترى سحر الصحراء... انظر إلى السماء»

نظرت للأعلى، يا للمنظر الخلاب... أنا لم أرَ شيئًا كهذا في حياتي، في عالم شجاع كان القمر ينير السماء، أما هنا، فالظلام الدامس وغياب القمر جعل السماء لوحة فنيّة من إبداع الخالق...

- «هذا رائع بحقّ»

بعد أن مضى بعض الوقت، قال أبو اليمان:

- «أراك قد سُحرتَ بالمشهد، ألا تريد العودة إلى الخيمة؟!»

- «أريد أن أبقى هنا مزيدًا من الوقت إن كان هذا ممكنًا، لم أشعر بهذه السكينة منذ زمن»

شعرت بشيء يلقى عليّ، قال أبو اليمان:

- «هذا معطفي، ارتده لأنّ الطقس سيصبح أبرد مع الوقت، سأعود إلى خيمتي، وإن احتجت لي فنادِ عليَّ»

غادر أبو اليمان وارتديت المعطف، إنه بحقّ دافئ ويحمي من البرد القارص، أكملت مشاهدة النجوم والمجرات في سكينة وهدوء، هذا بالفعل هو سحر الصحراء... فلقد مرّ الوقت من دون أن أشعر وأنا منبهر بذلك المشهد إلى أن أشرقت الشمس... ولاح المحيط الشاسع في الأفق خلف الصحراء...

أكملنا الرحلة، وفي ساعات قليلة كنا قد وصلنا إلى نقطة البيع، شكرت أبا اليمان ورجاله، أخرج أبو اليمان شيئًا من جيبه وأعطاني إياه وقال:

- «هذه بطاقة تعريفيّة لأحد أفراد قبيلتي الذين ماتوا قبل أشهر ولم نبلغ عن موته، لقد وافقت عائلته أن تساعدك كنوع من الصدقات على روح الشاب»

- «أنا عاجز عن شكركم، لقد أنقذتم حياتي والآن هذا...أنا مدين لكم بالكثير»

- «لا داعي للشكر، نحن سعيدون بالمساعدة يا أخ مازن»

ودّعني أبو اليمان وأنا أنزل بالحبل عند الميناء، ثم ابتعدت الناقة العملاقة نحو مكان على الشاطئ ووقفت بقرب إبل عملاقة أخرى، وبدأت تشرب الماء من مياه المحيط(8) ... هناك المزيد من هذه الإبل العملاقة، أيضًا رأيت في جهة أخرى ماعزًا جبليًا لكنه ليس بضخامة الإبل، ربما ثلث الحجم، رغم ذلك لا يزال يعتبر عملاقًا ويوجد على ظهر منزلين أو ثلاثة، أعتقد أنه الخيار الأفضل للعيش في المناطق الجبلية فهو يستطيع الوقوف على زوايا صعبة للغاية على الجبال، إذن هناك المزيد من القبائل والرحّالة في هذا العالم...

مشيت في المكان وأنا أكتشف الأرجاء، الميناء شاسع لكنه خالٍ من أيّ سفن!

وخارج الميناء في الساحة الواسعة يجلس العديد من التجار القادمين من أماكن مختلفة وقد عرض بضاعته بينما تجار آخرون يتنقلون من واحد لآخر ليحصلوا على أفضل صفقة، سألت أحد التجار:

- «كيف أستطيع الذهاب إلى قارة كازينسكي؟»

فأشار لي نحو موقفٍ في الميناء الموجود على الشاطئ يقف عليه العديد من الأشخاص وقال لي:

- «من هناك، سوف تغادر رحلة بعد ساعة»

شكرته وتوجهت نحو ذلك الموقف في الميناء، أوقفني رجل يرتدي زيًّا أقرب لقاطع التذاكر وقال:

- «بطاقتك التعريفيّة لو سمحت»

أخرجت البطاقة التي أعطاني إياها أبو اليمان وأعطيتها للرجل الذي دقق فيها ثم قال وهو يعيدها لي:

- «حسنًا، قطعة ذهبيّة واحدة لو سمحت يا سيدي، ثمن تذكرة الصعود»

هذا ما لم أحسب له حسابًا، لن يكون كل الأشخاص في هذا العالم بكرم فرسان الصحراء، في الواقع ليس من العدل لهم أن اعتقد أنني سأحصل على كلّ شيء بالمجان هنا! قلت له:

- «حسنًا، أمهلني بعض الوقت وسأرجع بعد قليل...»

عدت إلى ساحة التجار وأنا أفكر كيف سأحصل على المال، يجب أن أبيع شيئًا، بالطبع لن أبيع ملابسي أو جهاز بوصلة النجاة -وإلا انتهى الأمر بي ضائعًا مدى الحياة هنا-، الخيار الذي تبقى هو السكين الذي أخذته من عالم شجاع، كنت أنظر إلى السكين حين استوقفني تاجر شاب قائلًا:

- «لقد لفت انتباهي هذا السكين الذي تحمله، هل تودّ بيع هذا؟»

قلت له وأنا أمدّ له السكين:

«- أجل؟ بكم سوف تشتريه»

تفحص الرجل السكين بعناية ثم نظر لي وقال:

- «يبدو أنه تقليدٌ جيد، ليس أصليًا، هل كنت تعلم هذا؟»

هززت رأسي بعدم المعرفة، فأكمل الرجل في ثقة:

- «خمس عملات فضّية واثنتين ذهبيتين، هذا هو ما سأدفعه لك مقابل هذا السكين»

أنا لا أعلم ما قيمة القطعة الذهبيّة والقطعة الفضّية، لكن هذا كافٍ للرحلة، أردت القبول لكن عجوزًا وقف بقربي وقال:

- «يجب أن تشعر بالخجل أيها التاجر الشاب!»

التاجر:

- «هذا... هذا ليس من شأنك! اذهب من هنا»

سحب العجوز السكين من أمام التاجر الشاب وقال:

- «هذا السكين فريد، لم أرَ في حياتي مثيلًا له، المعدن

المستخدم هو الألمنيوم والفولاذ المضاد للصدأ، التوازن دقيق جدًا بها والمقبض مصمم بعناية، والنقوش تدلّ على ذوق راقٍ فريد، سكين كهذه قد تحصل عليها على أربعين... بل خمسين قطعة ذهبيّة على الأقل»

قال التاجر الشاب في حنق:

- «لا تستمع للعجوز المجنون، سأدفع لك ٣ قطعٍ ذهبيّة وهذا أفضل سعر ستحصل عليه مني»

قلت:

- «أشكرك، لكني أريد وقتًا لأخذ قراري»

- «إن رحلت فالعرض ملغي»

- «لا بأس بذلك، أشكرك»

ابتعدت عن التاجر الذي رحل على مضض وهو يشتم العجوز، قال لي العجوز:

- «يجب أن تكون حذرًا، لقد سألك الشاب سؤالًا مخادعًا وقال لك بأن هذه السكين غير أصلية وهو يعلم أن هذا غير صحيح، فقط ليرى ردّ فعلك ويعرف مقدار معرفتك بما تحمل، وحين رأى عليك علامات الجهل حاول التحايل عليك،

بالمناسبة أنا اسمي سبرونوف العجوز، أعمل في الاستشارات هنا، بالطبع إن كان لديك أي استفسار فسوف أساعدك... مقابل كرمك معي بالطبع»

قالها وهو يفرك أصابعه ويضيق عينيه مع ابتسامة.

- «حسنًا، إن استطعت بيع السكين بما تقول فسوف أدفع لك، أين يمكن أن أبيعها من دون أن يُتلاعب بي؟»

- «من الممكن أن تجد من يثمن السكين بأكثر من خمسين قطعة ذهبيّة إن سألت باقي التجار، لكن لا أظن أن الكثيرين يرغبون بدفع مبلغ كبير كهذا على قطعة واحدة!... لكن إن ذهبت إلى ماكسيموفيتش فهو قادر على دفع هذا المبلغ لك»

- «ومن يكون ماكسيموفيتش هذا؟»

- «أكبر تاجر للمعدات، ستجده في تلك المنطقة»

- «حسنًا يا سبرونوف، سأذهب لأصنع الصفقة وسأعود لك»

افترقنا، ومن بعد ذلك سألت بعض التجار قبل أن أذهب لماكسيموفيتش واتضح لي صدق سبرونوف، هناك مثل يقول: أن تنصب عليّ مرة فعار عليك، أن تنصب عليّ مرتين فعار عليّ، لهذا كنت حذرًا، توجهت إلى ماكسيموفيتش الذي انبهر بالسكين ودفع خمسًا وخمسين قطعةً ذهبيّة بعد أن

أتممنا الصفقة...

كانت صرة النقود ثقيلة، لم أعرف كم أعطي العجوز سبرونوف، فلا خلفية لي عن قيمة العملة هنا، لكن طالما قطعة ذهبيّة تساوي تذكرة سفر، فهذا يعني ذات قيمة جيدة، أعطيت العجوز قطعتين فقفز من الفرحة، وقال:

- «أنت كريم يا سيدي»

- «لا زال لدي بعض الأسئلة..»

- «تستطيع سؤالي بكل ما تريد معرفته، الأشخاص الطيبون أمثالك يستحقون كلّ وقتي»

سألته:

- «اسمك ذو طابع روسي، هل أنت روسي؟!»

- «روسي؟! أنت تقصد من روسيا القديمة؟! إنّ أجداد أجدادي كانوا من هناك قبل أن تصبح قارة الصناعة العظمى، أنا من قارة كازينسكي، لكني أعيش في مدينة الميناء هنا»

- «هل هناك قارات أخرى؟»

- «أجل، هذه القارة تسمى بقارة الصحراء، فيها مدينة الميناء هنا فقط، أمّا باقي الصحراء فلا يعيش بها سوى

الرحّالة، هناك قارة العالم الثالث الفقيرة التي رفضت الانضمام لحلف كازينسكي، والقارة المتجمّدة الجنوبيّة، أنت تعلم هذا، أليس كذلك؟»

- «سأعطيك قطعة نقدية أخرى إن أجبت دون أن تسألني»

- «بالتأكيد!»

بعد الكثير من الأسئلة للعجوز، استفدت منه في الأمور التي تتعلّق بالمال، لكن تلك التي تتعلق بالتقنيات وتطّور العالم بهذا الشكل فلم يستطع إجابتها، أهمّ ما عرفت هو التالي.

بعد مقارنة ما تستطيع العملات شراءه، توصلت إلى أن العملة الذهبيّة تعادل قيمتها مائة دولار تقريبًا في عالمي... ولهذا العجوز كاد يطير فرحًا لحصوله على ثلاث عملات ذهبيّة في وقت قصير... عشرون عملة فضّية تعادل قطعة ذهبيّة، وهناك عملات أقل كالعملة النحاسيّة... المهم أنني أحمل معي ما يقّدر بأكثر من خمسة آلاف دولار!

لم تعدّ هناك مسميات للعملة في هذا العالم، لم يفهم الرجل ما أقول عن الدولار أو الروبل الروسي، فقط عملة واحدة رسميّة لكلّ العالم وهي العملة الذهبيّة والفضّية المطبوع

عليها صورة رجل وأخبرني العجوز أنها صورة كازينسكي.

نحن في عام ٢١٧٠، عالم آخر من المستقبل، لكنه اتخذ طريقًا مختلفًا في التطّور، فهنا لم ينتهِ العالم بروبوتات تحكمه أو بعصر الظلمات كعالم شجاع.

روسيا مع بعض الدول المحيطة بها كالصين أصبحت رسميًا تعرف بقارة الصناعة العظمى وهي عبارة عن مصانع ضخمة للإنتاج البيولوجي بشكل خاص بالإضافة لوجود بعض الصناعات الأخرى.

في النهاية ساعدني سبرونوف على شراء ساعة يدّ ونصحني بعدم شراء أيّ سلاح لأن الشرطة العسكريّة في قارة كازينسكي لا تسمح بإدخال السلاح إلى القارة، ودّعته وذهبت للميناء، خرج قاطع التذاكر وطلب البطاقة التعريفيّة مرة أخرى ثم قطعة ذهبيّة، وقال بعد أن قطع لي تذكرة:

- «أسرع، بالكاد وصلت في الوقت، سوف يغادرون بعد ثوانٍ»

- «أسرع إلى أين؟ أنا لا أرى أيّ سفينة»

وضع التذكرة والبطاقة التعريفيّة في يدي ثم ركض أمامي وهو يقول:

- «هيا اتبعني يا سيدي»

تبعته وأنا أتساءل لما العجلة؟! لم تأتِ أيّ سفينة بعد، لكن الرجل أشار إلى أسفل الميناء... لمَ لمْ أتوقع هذا:

- «وسيلة النقل هي.. حوت!!!»

إنه حوت أحدب عملاق، أضخم بضعفين على الأقل من الحجم الذي أعرفه، على ظهره كانت هناك قمرة قاعها يخترق جلد الحوت، لدرجة جعلتني أفترض أنها مثبتة بعظامه، دفعني قاطع التذاكر إلى داخلها وهو يقول:

- «لا تقف عندك مندهشًا دون حراك يا سيدي، ستنطلق الرحلة الآن!»

فور أن دخلت... أقفل الباب، داخل القُمرة المكان أشبه بداخل طائرة بفرق أن القُمرة مقطّعة إلى طبقات كمقطورة القطارات في حال انثناء السكة، لاحظت أن معظم المقاعد لم تمتلئ بالركاب، أتت مضيفة وقالت:

- «تذكرتك لو سمحت»

أريتها التذكرة، فقادتي إلى أحد المقاعد وجلست عليه...

كنت أنظر من النافذة، لقد غاص الحوت في أعماق المياه،

قامت المضيفات بعمل عرض عن السلامة كما تقوم شركات الطيران في عالمي:

- «أعزاءنا الركاب، يسرنا أن نرحب بكم على متن رحلة البحريّة والمتوجهة إلى جنوب قارة كازينسكي، هذا الحوت من طراز Seabus A ٣٨٠ المحسّنة، سننطلق بسرعة ٨٠ ميل(9) في الساعة، وسوف تستغرق رحلتنا اثنتين وعشرين ساعة، تستطيع قضاء الوقت بمشاهدة آخر الأفلام الحديثة على الشاشة أمامك وسوف تجد سماعات الأذن في الحقيبة الشخصية المصممة للركاب والموضوعة على جانب كرسيك... في حال انقطاع الأوكسجين عن المقصورة فلا تقلقوا، فهناك أنابيب متصلة مع رئة الحوت تستطيع تزويد القُمرة بالأوكسجين الكافي... في حال احتجت لأيّ مساعدة فلا تترد بطلب أحد مضيفي القُمرة وشكرًا لاختياركم خطوط الحوت الأزرق للنقل»

ثم أصبحت الإنارة خافتة، أخرجت السماعات من الحقيبة المصممة للركاب، بعد أن وضعت سماعات الأذن، قمت بتقليب ما على الشاشة، نصيحتي لك إن ذهبت إلى عالم لا تعرف عنه شيئًا فشاهد أفلامه الناجحة وستتعّرف على مقدار ثقافتهم وما هي اهتمامات تلك الحضارة الأساسية...

في البداية خرجت شاشة إعلانيّة:

«مختبرات كازينسكي للتطّوير K.C.G.H.، نحن نتحكّم بالحيوانات، نجعلها أضخم ونهجّنها إلى الأفضل»

ثم شعار المختبر الذي كان صورة رمزية لسحابة رعديّة، ثم ظهرت قائمة بخيارات الأفلام...

جميع الأفلام باللغة الروسيّة، ورغم أنني لا أعرف سوى القليل من كلماتها إلا أنني كنت قادرًا على القراءة! لا تسألني لماذا فقد حدث شيء مشابه في عالم شجاع! ربما أكون في ماضيي الذي نسيته عَالِم لغات!

دققت في الأفلام، جميعها تدور حول الحيوانات المتطورة والأبطال فيها يرتدون زيًّا عسكريًّا أسود اللون، ربما سأشاهد بعضًا منها بعد أن أنتهي من البحث.

ويبدو أنني كنت محظوظًا فقد وجدت فيلمًا تاريخيًا يشرح عن العالم كازينسكي، هذا ما أحتاجه حتى أفهم ماهّية هذا العالم.

قمت بتشغيله، وبدأ العرض بصوت ذكوري احترافي مع مقاطع فيديو توضيحية:

«في بداية القرن العشرين ومع نشوء الحرب العالميّة

الأولى، بدأت حرب التسلّح في الخفاء بين الدول بأسلحة غير تقليديّة تضمن التقدّم على الآخرين، وكان أعلى طموح للدول في تلك الحقبة هو الحصول على الأسلحة ذهنّية تستطيع التّأثير بها على الكائنات البيولوجيّة عن بُعد، كأن تتواصل أو تنقل معلومات من عقل أيّ كائن واعٍ آخر أو تتحكّم به أو حتى أن تدمر عقله(10).

اهتم العالم برنارد برناردوفيتش كازينسكي بدراسة هذا العلم ونجح في أنْ يصبح أحد أبرز ممثلي العالم العلمي الذين تعاملوا مع التأثير عن بُعد على الدماغ البشري والحيواني.

قبل أعوام من ١٩٢٠، حين كان صديق كازينسكي الذي يعيش على مقربه منه مصابًا بحمى التيفويد، سمع كازينسكي صوتَ رنينٍ حادًّا كأن ملعقةً فضّية تضرب حافة كوب زجاجي في ليلة ما، لم يعلّق أيّ أهميّة لذلك الصّوت، ولكن عندما ذهب في اليوم التالي لزيارة صديقه، وجده ميتًا، وبعد أن عرف وقت الوفاة وجد أنه يتزامن مع الوقت الذي سمع فيه صوت الرنين، كما أن كازينسكي رأى كوبًا وملعقة فضّية بالقرب من سرير الميّت.

شعر العالم بأن هناك تفسيرًا علميًا لما جرى بعيدًا عن

الخرافات، وهنا تتبادر إلى ذهنه فكرة أنّ جسم الإنسان هو في الواقع محطة إذاعيّة كبيرة.

افترض كازينسكي أن الدماغ هو عبارة عن مذياع متكامل، يقوم بالإرسال والاستقبال، عندما يفكر الشخص ما فإنه يصدر موجات كهرومغناطيسيّة يمكن أن يستقبلها شخص آخر عن بعد. وقام كازينسكي بمطابقة أعضاء الجسم مع أجزاء المذياع، فمثلًا العصب الدهليزي يشبه ملفات الحثّ inductors، وانتفاخ كراوس الطرفي (أجسام عصبية مسؤولة عن الإحساس باللمس الخفيف والبرودة تتواجد في الجلد واللسان) هي الهوائي الذي يقوم بالاستقبال وهكذا...

بعد ذلك انتقل كازينسكي إلى موسكو ليحّاضر عن نظريته التي اسمها بنظرية الاتصالات الراديوية البيولوجيّة، وقد قُبلت نظريته في الوسط العلمي.

في عام ١٩٢٠، ابتكر كازينسكي جهازًا يمكنه التقاط موجات الراديو المنبعثة من الدماغ، والذي أطلق عليه المجهر الكهرومغناطيسي، لكنه فشل في تحقيق حساسية عالية للجهاز.

في العام ذاته، اقترح كازينسكي مخططًا لجهاز قادر على إعادة إنتاج نبضات الدماغ وتحويلها إلى إشارة صوتية

ونقلها عبر مسافات طويلة ومن خلالها تستطيع سماع شخص عن بُعد... وأطلق على اختراعه النظري اسم «راديو الدماغ».

ثم سمع كازينسكي عن فلاديمير إل دوروف، كان دوروف فيما سبق أشهر مدرب للحيوانات في روسيا ويبلغ من العمر ستين عامًا تقريبًا. اكتشف دوروف في أثناء عمله في السيرك مع الحيوانات قدرته على التواصل معها من خلال إرسال أوامر من عقله، وقد اهتمّت الحكومة السوفيتية بالأمر وزوّدت دوروف بالمعدات اللازمة وجعلت من منزله مختبر للأبحاث.

بعد أن أثار ذلك فضول كازينسكي، انتقل في عام ١٩٢٢ إلى مختبرات دوروف وبدأ العمل في دراسة قُدرة دوروف.

وعلى مدار عامين تقريبًا، أجرى دوروف وكازينسكي ما يقرب من ١٣٠٠ تجربة لاختبار أوامر التخاطر على الكلاب وقد أكد كازينسكي أن دوروف لم يكن مخادعًا وحُققت نتائج مرضية في مجال الاتصال الراديوي البيولوجي حتى لتلك المهام المعقّدة على الحيوانات، والتي كانت غالبًا ما تؤديها بشكل صحيح.

استمرت أبحاث العالم الواعدة إلى عام ١٩٢٨، في تلك

الفترة دعيَ لزيارة مقرّ لوبيانكا (مقر جهاز الأمن الفيدرالي الروسي والسجن التابع له)، وهناك انقطعت أخباره عن العالم... (11)

بعد سنوات وصلت إلى إحدى صحف الاتحاد السوفيتي رسالة من كازينسكي، قاموا بنشرها في الصفحات الأولى من الصحيفة: «**أنا العالم برنارد برناردوفيتش كازينسكي، بدأت في أعقد تجارب أقوم بها في حياتي بالتعاون مع جهاز الأمن الفيدرالي، وصلت إلى نهاية مغلقة لعدم تواجد مصدر الطاقة الكافي لنجاح التجارب، وهنا كُشف عن ستار لمصدر طاقة هائل قد عُثرَ عليه منذ سنوات في روسيا وأعطيت الحرية الكاملة لاستخدامه، كانت الطاقة أكثر من كافية لجعل الأبحاث تكتمل ونجحنا في التحكّم في الحيوانات المخبريّة، تجاربنا لن تتوقف وسوف تستمر وتتطّور لتحرص على أن يكون الروس هم من سيحكم العالم**».»

انتهى الفيلم، لقد فهمت أن كازينسكي كان له دور كبير في التحكم في الحيوانات، لكن لا زالت لدي بعض الأسئلة، قمت بتشغيل فيلم آخر يتحدث عن الحرب العالمية الثانية:

«**لقد بدأت الحرب العالميّة الثانية في عام ١٩٣٩،**

ليكشف الاتحاد السوفيتي أسلحة غير تقليديّة أثارت مخاوف العالم، لقد أطلقوا أعدادًا هائلة من الحيوانات من كلاب وسناجب وجرذان وأسماك القرش وحتى صقور والتي كانت تحمل قنابل على أجسادها لتتجه في تسارع ودقة نحو العدو ودباباتهم وسفنهم وطائراتهم لتفجرهم فور وصولهم لها، لتكتشف الدول المعاديّة أنّ روسيا استطاعت السيطرة على الحيوانات بدقة مخيفة! لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحدّ واستمرت الأسلحة البيولوجيّة بالخروج عامًا بعد عام بشكل مختلف ومتطّور، فبعد عام نشرت روسيا حشرات الجراد ذات أحجام تصل لحجم رضيع وبأعداد مهولة هُجنتْ لتأكل بشراهة دون توقف من دون أن تتكاثر، وكانت النتيجة مخيفة فقد تحوّلت دولًا بأكملها إلى صحراء! ثم في عامٍ آخر أطلقتْ حيوانات مفترسة كالذئاب والنمور معّدلة جينيًا لتصبح أضخم بمرتين إلى ثلاث مرات من حجمها الطبيعي وأشرس بمراحل لكن عيبها أنها كانت تموت محترقة بعد فترة بسبب ارتفاع درجة حرارة خلاياها، رغم ذلك قامت هذه الحيوانات بصنع ضرر بالغ في الدول المعاديّة، وحتى بعد أن أعلنت تلك الدول استسلامها لم تتوقف روسيا عن إجراء تجاربها وتطبيقها على تلك الدول، كانت مجزرة

مات مئات الملايين بها.

لقد امتلكت روسيا القدرة على التحكّم في بعض الحيوانات بشكل تام، وتابعت التجارب لتضخيم الحيوانات وتهجينها لمصلحتهم، لكن بعد أن نجحت التجارب القائمة على تضخيم الحيوانات عن طريق تلاعب جيني ومسرعات نمو... وجدوا أنه كلما ازداد حجم الحيوان احتاج قدرًا أكبر من الطاقة للإبقاء على وظائفه الحيويّة الأساسيّة، وعمليّة التضخيم تسبب ارتفاعًا هائلًا في الحرارة الصادرة من الخلايا، لينتهي الأمر بموت الكائنات المضخّمة بالاحتراق الذاتي، وهذا جعل الأمر شبه مستحيل... في المقابل كان علماء الاتحاد السوفيتي يؤمنون بإمكانية ذلك، فقد وجدت حيوانات عملاقة منذ ملايين السنين كالديناصورات مثل البيغوصورس الذي كان بطول ٤٠ مترًا وارتفاع ٢٠ مترًا وبوزن ٨٠ طنًا، أكثر ارتفاعًا من مبنى مؤلف من خمسة طوابق، وأثقل من طائرة ركاب عملاقة من تلك المعروفة باسم الجامبو.

«إن استطاعت الطبيعة فعل ذلك فنحن قادرون أيضًا إن امتلكنا الطاقة الكافية» قالها أحد العلماء، وكان مصدر الطاقة الذي امتلكه كازينسكي هو ما جعل ذلك ممكنًا!

لم تتوقّف الدراسات والأبحاث التي تدور حول تطّوير الحيوانات وطرق لتفريغ الحرارة الهائلة عن التضخيم... وكلما تقدّموا في هذا الأبحاث استطاعوا تهجين حيوانات أضخم...

استمر التدمير والقتل من تطبيق التجارب على الدول إلى أن تمكنت روسيا من احتلال القارتين الأمريكيتين، لينتقل لها رجال الأمن الفيدرالي الروسي لحكمها...

وهنا توقفت روسيا عن الهجوم بعد أن أبيد أكثر من نصف البشرية...»

هذا مخيف حقًا! كان ذلك طويلًا للغاية، لكني فهمت أخيرًا ما الذي يحدث في هذا العالم... الملخّص هو أنّ هذا العالم اتخذ منحنًى مختلفًا عن عالمي وبدل التطّور الذي حصل بسبب الإلكترونيات والحواسيب والمحركات، كانت الثورة الصناعية هنا قائمة على التطّور في علم البيولوجيا.

وجدت فيلمًا ثالثًا يتحدث عن التغيرات التي جرت في آخر مئتي عام، وملخصه هو أنه قد سُميت القارتان الأمريكيتان بقارة كازينسكي تكريمًا للعالم الذي غيّر العالَم، وأنشئ مختبر علمي ضخم في مكان في الجزء الشمالية ونقل مصدر الطاقة له لتستمر الدراسات بشكل أسرع....

وأهمّ التغيرات الأخرى التي حصلت على مدى المائتي عام:

- اللغة الروسية الحديثة أصبحت هي اللغة الرسميّة الوحيدة في العالم، وقد اختفت باقي اللغات تقريبًا إلا عند بعض الرحّالة...

- لم تنجح عمليّة العملقة على كلّ الحيوانات، كما أن أقصى مدى للتضخم يكون مختلفًا بين فصائل الحيوانات التي تصلح لتلك العمليّة...

- أوقفت عمليات التهجين والتضخيم على الكائنات المفترسة والضارة والتخلّص من الموجود بعد انتهاء الحرب...

- عمليّة التحكّم تتم باستخدام شريحة تزرع في دماغ المستقبِل وأما عمليّة الإرسال فهي عن طريق شريط النيوروليك... وهو شريط يُلصق في مؤخرة العنق ويقرأ الإشارات العصبيّة ويحللها بدقة ثم يحولها إلى أوامر تصل إلى العقل الباطني اللاواعي لدى المستقبَل ليقوم بتلك الأوامر من دون ممانعة أو مقاومة، ولا يصلح سوى القليل من البشر لاستخدام النيوروليك بسبب اختلافات في الدماغ من شخص لآخر.

خرج في نهاية العرض صورة خريطة للعالم الحالي، وبعد التدقيق وجدت أن إفريقيا والوطن العربي قد أصبحا عبارة عن صحراء، وهم ما يطلق عليه بقارة الصحراء، مدينة الميناء تقع في غرب إفريقيا وهي المدينة الوحيدة في تلك القارة، روسيا وأوروبا وما تبقى من آسيا هي قارة الصناعة العظمى، أستراليا هي قارة العالم الثالث الفقيرة، وقارة كازينسكي كما علمت هي الأمريكتان أمّا القارة المتجمّدة الجنوبيّة فهي لم تختلف عن تلك التي في عالمنا...

خلال الرحلة قاموا بتوزيع وجبات طعام، شطائر من الجبن واللحوم ومقبلات، المنظر العام للوجبة جميل، حين تذوقتُها وجدت أنها عديمة الطعم، وهناك أشياء طعمها منفر ومقزز!

لقد تبقى أمامي في هذه الرحلة تسع عشرة ساعة، هذا وقت طويل للانتظار، شغلت نفسي بعدة أمور، تارة أنظر من النافذة لأشاهد المنظر الأخاذ حين يقترب الحوت من السطح وأرى بعض الأسماك ذات المناظر الخلابة من النافذة، وتارة أغفو، وتارة أشاهد بعض الأفلام، لقد شاهدت العديد من الأفلام وسأعطيك ملخصها:

فلم التيتانوبوا: يتحدّث الفلم عن علماء استطاعوا استنساخ ثعبان عاش في العصر الباليوسيني قبل ستين

مليون سنة بعد انقراض الديناصورات، هذا الثعبان بطول خمسة عشر مترًا ومعدل العرض متر، كان الهدف من استنساخه استخدامه في حالات إنقاذ العالقين من الكوارث البيئيّة، لكنهم لم ينجحوا في السيطرة عليه لأن الشريحة لم تصلح للتحكّم بدماغه وتبدأ معركة لمحاولة القضاء عليه قبل قتل كلّ من في المختبر، ليقوم البطل وهو من الشرطة العسكريّة (وهم بالأصل جهاز الأمن الفيدرالي الروسي الذي يحكم قارة كازينسكي) بإنقاذ الموقف والقضاء على الوحش.

فلم حرب الأعماق: بعد أن استطاع رجال الشرطة العسكريّة السيطرة على أنواع نادرة من الكائنات البحريّة بمساعدة مختبرات كازينسكي وتهجينها لتصبح بأحجام أكبر، استخدموها لزيادة عمليات التعدين في البحار ولاستكشاف أسرار أعماق المحيطات، ليكتشفوا وجود شعب آخر عدائي في أعمق نقطة في المحيط...

فلم الصراع الأسود: يحكي عن مجموعة من البشر في السوق السوداء يقومون بعمل معارك بين الحيوانات العملاقة الممنوع تضخيمها لكسب نقود الرهان، ويقوم شرطي عسكري بالتخفّي لإيقاف هذه اللعبة ويصبح مجبرًا أحد اللاعبين فيها خلال ذلك.

فلم عالقون في الجليد: تصل إشارة استغاثة للشرطة العسكريّة من قارة المتجمّدة الجنوبيّة، فتذهب حملة إنقاذ منهم، ليجدوا أن بطاريق عملاقة عالقة في شقّ داخل جبل جليدي، وهذه البطاريق العملاقة تحمل رحالة في منازل داخل بطنها! فيقوم رجال الشرطة العسكريّة بإنقاذ الرحّالة رغم صعوبات التي تواجههم من البيئة المتجمّدة!

أرى نمطًا في هذه الأفلام! الشرطة العسكريّة هم الأبطال في كلّ فلم شاهدته! أعتقد أن الدول العسكريّة تقوم بفعل أمور كهذه لعرض صورة جيدة لرجالها...

في النهاية وصلت إلى وجهتي، إنها التاسعة صباحًا.. وقد مضى على وجودي في هذا العالم يومين إلا ثلاث ساعات... من المفترض أنه تبقى ثلاثة أيام وثلاث ساعات لكن العدّ التنازلي يشير أنه قد مرّ وقت أكثر من هذا بخمس ساعات، وأنه تبقى لي ثلاثة أيام إلا ساعتين، ربما أخطأت حساب الوقت في مكان ما عند وصولي، أو أن الساعة التي اشتريتها فيها مشكلة، لا يهم فالوقت أكثر من كافٍ.

خرجت من القُمرة، لأقف في طابور طويل، لمَ كلّ هذا التأخير في النزول، بعد دقائق تقدّمنا ورأيت في مقدّمة الطابور الكثير من رجال الشرطة العسكريّة يرتدون زيًّا أسود

يحملون عصيًا فولاذية على خاصرتهم، وخلفهم كلب عملاق من نوع البولدوغ bulldog يمطر ما تحته بلعابه ومثبت عليه قفص حديدي يتسع لسجن ثلاثة أشخاص أو أكثر، ترى عمَّ يبحثون؟!

من كان أمامي كان يبتسم لهم بمحبة، حين وصل دوري، قال لي أحدهم بصارمة:

- «بطاقتك التعريفيّة»

أعطيته البطاقة التي أعطاني إياها أبو اليمان وأنا أشعر بالخوف، وضعها الشرطي في جهاز وبدأ يتبادل التحديق بيني وبين الجهاز، قال:

- «لقد كسبت بعض الوزن في الفترة الأخيرة، يجب أن تحدث الصورة في أقرب وقت، تقدّم الآن... التالي»

أعطاني البطاقة وتقدّم إلى الأمام، رغم أننا في المستقبل لكن المدينة مكوّنة من منازل تقليديّة من تلك التي تجدها في الأرياف، هناك بعد السكان في الشارع لكنهم نحيلو البنية تعيسو الوجه، لا توجد سيارات تلوّث المكان بأدخنتها، بل أحصنة من النوع المعروف بأحصنة القزم، لكنها أكبر بخمسة أضعاف على الأقل من التي أعرفها، وترتدي شيئًا أقرب

لدرع مزين بنقوش وعليه ثلاثة أو أربعة مقاعد على ظهرها بحسب حجمها...

أوقفت أحدهم وقلت له أنني أريد الذهاب إلى المدينة التالية وأشرت له إلى اتجاه المثلث الأخضر بحسب بوصلة النجاة، قال السائق النحيل:

- «لا بأس، أستطيع توصيلك مقابل سبع عملات فضّية»

- «حسنًا، أنا موافق»

أنزل السائق سلمًا لي وطلب مني الصعود...

صعدت وجلست على المقعد المثبت على ظهر الحصان ثم بدأ الحصان بالسير، كان الرحلة جميلة نوعًا ما، رأيت منازل مبنية على ظهر سلاحف، إنهم يتنقلون من مكان إلى مكان آخر بمنازلهم كما يريدون! تخيل أن تنتقل بمنزلك من واجهة البحر إلى واجهة فيها غابة متى ما أردت، أو أن يتحرّك المنزل ليبتعد عن الشمس حين تصبح حارقة فتحافظ على درجة حرارة معتدلة للبيت... ثم رأيت مزارع لأبقار وخراف حجمها بحجم الأفيال، يبدو أن هذا العالم لا يعاني من مجاعات، كلّ هذا يشعرك بأن هذا العالم جميل ومريح للعيش به لكن الغريب أن الجميع هنا لا تبدو عليهم علامات

الراحة -ما عدا الشرطة العسكريّة بالطبع-.

كل بضع كيلومترات، كنا نجد نقطة تفتيش، تعامل فظٌّ خشن لكن الجميع يبتسم بحرارة للشرطة وإن التزمت بما يقولونه حينها تعبر في سلام...

بعد مسافة نصف ساعة دخلنا وسط عاصفة من الغبار والرمل، خرجنا منها وأنا أعطس، نظرت نحو مصدر العاصفة، يوجد فيلة بارتفاع مبنى على بُعد كبير منا يقومون بحفر الجبل باستخدام معدات مثبتة على أنيابهم وبعد الحفر ينقلون التربة لنقطة أخرى، سألت السائق:

- «ماذا يفعلون في تلك المنطقة؟»

- «يبنون سجنًا أمنيًّا جديدًا، إن رجال الشرطة العسكريّة رائعون»

عند نقطة التفتيش التالية وقفنا ونحن ننتظر دورنا، يبدو أن شابًا كان يختبئ في العربة التي كانت أمامنا، سحب رجال الشرطة العسكريّة الشاب ولم يترددوا في ضربه بالعصي الفولاذّية! بينما يردد الشاب في ضعف:

- «الحرية... الحرية للجميع»

لاحظت أن الناس حوله يبتسمون في ودّ لرجال الشرطة

العسكريّة! لما لا توقفونهم؟! سيقتلون الشاب، شعرت بالقهر وحاولت الاعتراض، لكن السائق أمسك يدي وقال مبتسمًا:

- «رجال الشرطة هم الأفضل، إنهم يعرفون ماذا يفعلون»

توقف رجال الشرطة عن ضرب الشاب حين أغمي عليه وقاموا بجره إلى أحد الأقفاص المثبتة على كلب بولدوغ عملاق!

ترى ما كانت جريمة ذلك الشاب، أتمنى أن أخرج من هذا العالم من دون أن أحتك بأحد رجال الشرطة...

بعد ساعات وصلت إلى مدينة مختلفة محاطة بسور عالٍ، كان رجال الشرطة العسكريّة يقفون على مدخلها، قاموا بالتفتيش والتحقق من البطاقة التعريفيّة، ثم قام أحدهم بوضع ورقة في يدي ويد السائق، وهو يقول:

- «إن رأيتم هذا الرجل فبلغونا على الفور، إنه خطير جدًا وهناك مكافئة مجزيّة إن ساهمت بالقبض عليه»

أنا لا أهتم بالمجرمين الخطيرين في هذا العالم، لكن لا ضرر من رؤية كيف يبدو وجه المجرم الخطير عندهم فربما يصدف أن أراه أمامي، حين نظرت إلى الصورة المطبوعة على الورقة، صدمت وتغيّر لون وجهي، سألني الشرطي:

- «يبدو أنك قد تعرّفت عليه، أليس كذلك؟»

قلت في صوت متحشرج:

- «لا، لا، لقد خطر في ذهني شخص مختلف»

- «هل أنت متأكد؟!»

قالها وقد وضع العصا الفولاذّية تحت ذقني! هززت رأسي بأنني متأكد، قال بطريقة مستفزة:

- «هل تملك دليلًا على هذا؟! صور لذلك الشخص الذي تعرفه مثلًا!»

نظر الشرطي نظرة شكّ لي وهو يضغط بالعصا أكثر نحو وجهي، لم أجد حلًا سوى أن أخرج عملتين ذهبيتين ودسستهم في يد الشرطي، الذي قال وهو ينظر للنقود في يده:

- «هذا دليل كافٍ، يبدو أنك لا تعرفه، إن رأيت هذا الشخص فلا تتردد في تبليغنا، هيا انصرفوا من أمامي»

كان السائق يبتسم للشرطي ثم ابتعدنا عنه بينما أنا أنظر للصورة وابتلعت ريقي، لقد صدمت لأن الصورة هي صورة فراس!

أجل، فراس الذي كان معي في بُعد نسيج الزمن! هو مجرم مطلوب في هذا العالم!

دفعت أجرة السائق ونزلت من على ظهر الحصان، ثم بدأت السير وأنا أتبع إشارة بوصلة النجاة، إن المثلث الأخضر هي إشارة فراس إذن، يجب أن أجده قبل أن تجده رجال الشرطة العسكريّة... المكان هنا مكتظ أكثر من المنطقة التي كنت بها قبل ساعتين، والمنازل متلاصقة بعضها البعض والمناطق العشبيّة تكاد تكون معدومة، هناك في الأفق ترى فيلًا عملاقًا يقوم ببناء بيت، أما أمامي فهناك أسواق وباعة في الأرجاء يبيعون مختلف الأشياء من فواكه إلى لحوم ومعدات... والشرطة العسكريّة منتشرون في الأرجاء.. في أثناء سيري قفزت أمامي دجاجة بحجم نعامة تأكل من حشائش الأرض، توقفت وأنا أنظر نحوها، لقد بدأت أعتاد على هذه العجائب، هنا مر شخصان بقربي وأحدهما يمسك بالمنشور الذي عليه صورة فراس، وسمعت حوارهما وأنا أمشى ببطء خلفهم:

- «لم أرَ رجال الشرطة العسكريين في حالة من الاستنفار كهذه، هذا الشاب لا بدّ من أنه قد قام بجريمة كبيرة»

- «أعتقد أنهم سيطلقون السلاح الفتاك»

- «أعتقد أنها أسطورة، على أيّ حال أنا أثق برجال الشرطة، إنهم يعرفون ما هو الأفضل لنا»

أكملت طريقي بعد مسافة من المشي توقفت وبوصلة النجاة تشير إلى أحد الأزقة المظلمة، هل فراس هنا؟!

دخلت مسرعًا، بالكاد أرى، لكني استطعت أن أرى جسدًا مستلقيًا على الأرض في هذه الظلال المعتمة، أهذا هو فراس؟!

اقتربت منه وفور أن لمست كتفه تراجع في رعب، قلت:

- «اهدأ رجاءً!»

- «أنت... أنا أفهم ما تقوله!!»

- «أجل»

- «أنت تفهم ما أقول!!»

اقترب مني، كان شاحب الوجه بعلامات سوداء أسفل عينيه المحمرتين، يبدو أنه لم ينم لأيام، قلت له مطمئنًا:

- «فراس... إنه أنا.. مازن»

صرخ بفرح:

- «مازن! مازن! الحمد لله، الحمد لله أنك أتيت، أنت لا تعلم كم أنا سعيد برؤيتك»

ثم أقفل فمه:

- «لا أريد أن يكشفوا مكاني»

- «ماذا حدث معك؟! لمَ يطاردك رجال الشرطة العسكريّة؟!»

- «المكان ليس مناسبًا لإخبارك هذه الحكاية الطويلة، يجب أن نهرب من هذه المدينة قبل أن يقبضوا عليّ»

- «أعتقد أننا لن نحتاج للهروب، هناك مخرج من هذا العالم على بعد عشرات الكيلومترات من هنا»

- «هل أنت جاد؟! حتى لو كان هذا حقيقًا، لن ننجح بالنجاة هنا من دون أن تستطيع فهم ما يقولونه»

- «في الواقع أنا أستطيع الكلام معهم! إنها اللغة الروسية على ما أظن»

- «هذا رائع يا مازن... إذن نحن فقط بحاجة إلى المال»

«أنا أمتلك ما يزيد عن حاجتنا من المال للهروب»

- «أنت أتيت لي من السماء! يا رجل... ربما لدي أملٌ في

النهاية، لقد كدت أن أفقد الأمل مرارًا، فقد مررت بالكثير هنا...»

يبدو أن فراس قد عانى في هذا المكان وهو منهك القوة، يجب أن آخذه إلى مكان ليرتاح فيه، لكن إن خرج من الزقاق فسوف تلقي الشرطة العسكريّة القبض عليه فورًا! قلت:

- «ستخبرني بكلّ شيء فور أن نستطيع إخراجك من هنا من دون أن يُلقى القبض عليك، نحتاج لخطة»

- «لدي واحدة... وتتطلّب أن تذهب وتشتري لي بعض الأشياء من السوق»

- «بالطبع، أخبرني ماذا تريد؟»

طلب مني قائمة من الحاجيات الغريبة، ثم قال:

- «لا تتأخر علي، أرجوك يا مازن»

- «لا تقلق يا صديقي»

غادرت وذهبت إلى السوق، ثمّ بدأت التنقل من متجر إلى آخر وأنا أبحث عن الحاجيات التي طلبها فراس مني... وبعد نصف ساعة من البحث وجدت جميع ما طلبه، عدت إلى فراس الذي قال:

- «هل أحضرت كلّ شيء؟!»

- «أجل، ملابس مشابهة لملابس السكان هنا، وعوينات ولون مؤقت للشعر وبقايا شعر من عند صالون الحلاقة، وعلبة مكياج ومرآة صغيرة! لمَ كل هذا؟!»

«انتظر قليلًا»

ثم دخل فراس إلى منطقة معتمة في الزقاق.

ثم بعد دقائق خرج من الظلال شخص استغرقتُ ثواني لأعرف أنه فراس، هذا الشاب بارع في التنكر! لقد أصبح له حاجبان كثيفان ولحية في ذقنه، وغيّر تسريحة شعره ولوّن شعره، حتى الملامح تلاعب بها بالمكياج، قال:

- «الواضح أنك لم تعرفني في البداية وهذا يدلّ على نجاح تنكري»

- «أجل، أنت بارع في هذا!»

- «أرجو فقط ألا يشك أحد في أمري، يجب أن تأخذني إلى أحد المطاعم القريبة، أنا أتضور جوعًا»

رفع فراس حقيبة صغيرة تلبس على الكتف من الأرض، لقد كان يستخدمها كوسادة، ووضع الملابس القديمة في

الحقيبة، ثم وضعها على كتفه...

خرجنا من الزقاق ومشينا بين الناس، أمامنا كان يقف رجال شرطة عسكرية ويتفقدون البطاقات التعريفيّة للمارة الذين يبتسمون بحرارة للشرطة، قلت لفراس:

- «دعنا نذهب ونقف عند ذلك البائع إلى أن يرحلوا»

- «لكن تنكري...»

«تنكرك لن يفيد، انهم يتفقدون البطاقات التعريفيّة للأشخاص هنا، لا أظن أنك تمتلك واحدة»

- «بالطبع لا»

- «إن أمسكوا بك من دون بطاقة فسوف يزجون بك مجددًا في السجن من دون أن يسألوك حتى من أنت»

وقفنا عند البائع ودسست في يده قطعة فضّية وقلت:

- «نحن جديدان في المدينة هنا، أريد أن أسألك بعض الأسئلة إن كنت لا تمانع»

- «بالطبع تفضل»

- «هل يوجد مطعم جيد هنا؟»

- «أجل، أنصحك بذلك المطعم، إنه جيدٌ جدًا»

- «سؤال آخر، هل يوجد هنا فندق أو نزل قريب»

- «في نهاية ذلك الشارع على اليمين»

نظرت نحو فراس لأترجم له ما قال البائع لكني رأيت ملامح الصدمة على وجهه، قلت:

- «فراس، هل أنت بخير؟!»

تجاهلني فراس وقال للبائع بصوت مرتبك:

- «هل تستطيع فهم ما أقول؟»

قال البائع:

- «بالطبع أفهم ما تقوله! هل هنا مشكلة ما في هذا يا سيدي؟!»

أمسكني فراس من يدي وتراجع للخلف وقال بهستيرية:

- «لقد فهمت ما قاله الرجل!! لقد فهمت كلامه، وهو يفهم ما أقول! كيف؟! أقسم أنني لم أفهم كلمة واحدة سابقًا!! ماذا يحدث يا مازن؟! كيف أستطيع فهم كلام الرجل؟!»

- «اهدأ قليلًا حتى لا تثير الشكوك»

هدأ وقال:

- «حسنًا، أخبرني لمَ أفهم اللغة وأتحدّثها بطلاقة بينما عانيت خلال الفترة الماضية بسبب هذا»

- «لا أعلم، لكن طوال رحلتي كنت أفهم ما يقوله الآخرون مهما كانت لغتهم، إن القوم هنا يتكلمون الروسية وحسب علمي أنا لا أعرف هذه اللغة، كنت أتوقع أنني كنت في ماضيي عالم لغات أو شيئًا من هذا القبيل، لكن هذا التوقع يبدو أنه ليس صحيحًا، أنا لا أجد تفسيرًا لما يحدث»

- «لا أستطيع التفكير الآن، أنا جائع ومتعب»

نظرت إلى رجال الشرطة... إنهم يغادرون! قلت:

- «نستطيع التحرّك الآن، هيا بنا إلى المطعم الذي أخبرنا عنه البائع»

حين وصلنا إلى باب المطعم، قال فراس:

- «أنا الآن أستطيع قراءة الكلمات الموجودة على اللوحات، لم أكن قادرًا على ذلك أيضًا!»

دخلنا وجلسنا إلى إحدى الطاولات التي في الزاوية، أتى الطاهي ورحب بنا ووضع قائمة الطعام بين أيدينا،

تصفحتها... مليئة بأطباق غريبة لا نعرفها مثل ستروغانوف، كابّوستا، بيلميني، الكنيش، وسميتانا(12)، لم نجرؤ على طلب شيء لا نعرفه، لهذا طلبنا الشيء الوحيد المألوف لدينا، دجاجة مشوية... أخبرنا الطاهي بذلك، ابتسم وقال:

- «خيار جيد، سيستغرق تحضيرها ثلث ساعة»

قلت:

- «لا بأس بذلك»

بعد أن غادر الطاهي، قال فراس:

- «إلى أن يأتي الطعام، أخبرني كيف وصلت إلى هذا العالم، هل خالد أرسلك من بعدي إلى هنا؟!»

- «لا، بالطبع لا، سأخبرك بكلّ شيء»

بدأت أقص عليه ملخصًا لما جرى معي في العالم السابق وكيف أن جهاز بوصلة النجاة ساعدني وما حدث معي منذ أن وصلت إلى هذا المكان...

بعد أن انتهت قال:

- «لقد ذقت الويلات هنا بينما أنت تشاهد مستمتعًا بالنجوم على ظهر ناقة عملاقة وتشاهد أفلام مغامرة في قمرة فوق

ظهر حوت! والأدهى أنك امتلكت مالًا كثيرًا من صفقة محظوظة واحدة، أنت محظوظ يا مازن»

- «لا تنسَ العالم السابق الذي كنت فيه، كان هناك أناس همجيون يحاولون قتلي وقطع لساني»

- «ذلك مخيف بحقّ، أرى أن لا أمل لأحد منا بالنجاة من دون الجهاز الذي أخبرتني عنه، أتسمح بأن تريني إياه»

أخرجت الجهاز من جيبي وأعطيته إياه، قال وهو يتفحصه:

- «أتعلم، لدي فرضية»

- «ما هي؟»

- «أعتقد أنه أكثر من مجرد خارطة، أنه بشكل ما جعلك تفهم كلام الآخرين وبالمقابل يفهمون كلامك، ولهذا حين كنت بقربك فهمت ما قيل»

- «هذا ممكن بحق! إن فكرت في الأمر جيدًا فأنا أتذكر أني حين وصلت إلى بُعد نسيج الزمن وقبل أن تأتي أنت، قام إكزافير باستخدام شيء مشابه حتى نستطيع فهم كلامه ومن بعد ذلك لم نجد مشكلة في فهم أحدنا للآخر رغم أننا نتكلّم لغات مختلفة»(13)

- «هذا يفسر ما حدث معي حين التقيت بك»

هنا رأينا الطاهي وقد استعان بشابين معه لنقل الدجاجة المشوية ووضعها أمامنا! لقد نسينا أن حجم الدجاج أكبر مما في عالمنا!

أعاد فراس لي الجهاز وبدأنا في تناول الطعام...

المذاق ليس بتلك الجودة ويكاد الطعم أن يكون عديم المذاق، لكن تستطيع القول بأننا تناولنا وجبة مشبعة لم نستطع إكمال ربعها، قبل رحيلنا من المطعم، طلب فراس من الطاهي أن يضع جزءًا مما تبقى من الدجاجة في كيس، بعد أن فعل الطاهي ذلك دفعت ما علينا وذهبنا إلى النزل!

من الجيد أن صاحب النزل اكتفى ببطاقة التعريف خاصتي، بالقرب منه على الجدار، يوجد العديد من المنشورات للمطلوب معظمها لشباب في مقتبل العمر، كان صاحب النزل يدقق في الصور وفي وجهي ووجه فراس، إنها وسيلة رزق جيدة لصاحب النزل، إن وجد مجرمًا وبلغ عنه فهو يأخذ مكافأة جيدة، حين لم يجد تطابق بيننا وبين المنشورات أعطانا مفتاح الغرفة....

كانت الغرفة تحتوي سريرين وطاولة طعام صغيرة حولها

كرسيان ويوجد على منضدة قريبة هاتف قديم ذو عجلة دوارة، وهناك حمام في حال مقبولة، ألقى فراس جسده على السرير وقال:

- «سيكون جيدًا إن وجدت خريطة للمدينة هنا، سيساعدنا هذا على الخروج، أما أنا دعني أستمتع بطعم الحرية المؤقتة هذه، أنا لم أنم على سرير منذ فترة، لهذا...»

وهناك غط فراس في نوم عميق... المسكين لم ينم جيدًا منذ فترة.

نظرت إلى بوصلة النجاة، تبقى من الوقت ما يقارب ثمان وستين ساعة، أي يومان وعشرون ساعة، الأمر لا يتطابق مع ساعة اليد، من المفترض أنه مضى تقريبًا خمس ساعات منذ أن وصلت إلى قارة كازينسكي حتى هذه اللحظة، حين وصلت للقارة كان العد التنازلي يشير إلى ثلاثة أيام وساعتين، أي أن الفرق ست ساعات، وهناك ساعة زمنية واحدة لا أعرف كيف مضت!! التفسير الواضح أن الساعة معطلة، سوف أشتري ساعة يد أخرى بدلًا منها.

تركت فراس نائمًا وتوجهت خارجًا إلى السوق، اشتريت ساعد يدّ مختلفة، ثم وجدت متجر للكتب والوثائق واشتريت خارطة للمكان...

عدت للنزل، لا يزال فراس نائمًا، وضعت الخريطة على الطاولة وبدأت إسقاط موقع النقطة الحمراء في بوصلة النجاة على الخريطة، أعتقد أنني وجدت المكان... لم أستفد كثيرًا، لأن كلّ شيء مرسوم بعناية ووضوح ما عدا تلك المنطقة التي تركت باللون الأسود وكتب عليها منطقة محظورة!

يا لخيبة الأمل!

يبدو أنني سأحظى بقيلولة في النهاية إلى أن يستيقظ فراس... استلقيت على سريري ويبدو أن جسدي كان بحاجة للنوم، فقد نمت في وقت قصير...

حين استيقظت... وجدت فراس جالسًا على الكرسي عند طاولة الطعام ويبدو أنه قد استحم فقد زال تنكره وقد عاد جزء من حيويته له، كان يأكل فخذ الدجاجة المشوية التي تبدو كفخذ بقرة بيد وباليد الأخرى يتفقد الخريطة وجهاز بوصلة النجاة، نظرت للخارج، لقد غربت الشمس، قلت له بعد أن جلس على الكرسي الآخر على الطاولة:

- «كيف حالك الآن؟»

- «أفضل بكثير»

- «الآن أخبرني ماذا جرى معك في هذا العالم حتى نستطيع وضع خطة للهروب»

- «حسنًا، لكن لا أعرف من أين أبدأ، لقد مررت بالكثير»

- «تستطيع البدء بالإجابة، لمَ وضعتك الشرطة العسكريّة في قائمة المجرمين الخطيرين»

- «حسنًا، سأخبرك بما جرى من البداية، من لحظة أن وصلت إلى هذا العالم قبل سبعة أيام، حين استيقظت من بعد رحلة الانتقال وجدت نفسي على سطح أحد المنازل في هذه المدينة، نزلت وبدأت محاولات فاشلة في التفاهم مع الناس في الشوارع من دون جدوى، وهناك صدمت برؤية كائنات حية مختلفة الحجم، أصبت بالذعر في البداية لكني هدأت...

كنت واثقًا أنني أمتلك المهارات اللازمة للنجاة في أيّ مكان، لكن مع الوقت بدأت أشك في ذلك... من دون لغة أو مال كان الأمر مستحيلًا، حاولت طلب معلومات، طلبت مساعدة، طلبت طعامًا ومأوى، وطلبت عملًا لأحصل على مال، لكن لم يفهموني ولم أفهمهم، وصل الحال بي أنني كنت مستعدًا للبحث في النفايات عن بقايا الطعام، لكن لم أرَ مكبّات للنفاية أو حتى نفاية في الشوارع، ثم وجدت

أن السكان يلقون بنفاياتهم حين يسمعون صوت أزيزٍ عالٍ، وهذه تكون عبارة عن مجموعة من الذباب العملاق الأضخم مني حجمًا يقودهم أحد العمال وهو جالس على ظهر ذبابة مميّزة عن البقية ويجلس عليها كأنه يقود دراجة هارلي! ويبدأ الذباب بأكل النفايات التي يلقيها السكان دون ترك أيّ أثر!»

- «إنها طريقة فعالة للتخلّص من النفايات!»

- «هل هذا ما أثار اهتمامك؟! طريقة فعالة للتخلّص من النفايات! أنا كنت على وشكّ الموت جوعًا، مرت ثلاثة أيام لم تنجح أيّ من محاولاتي لكسب الطعام ووصلت إلى مرحلة لم أتحمّل فيها الجوع، وهنا قمت بسرقة بعض الطعام من أحد البائعين في الشارع، لم يكن هناك خيار أمامي كي أنجو، لاحقتني قوات الشرطة، واستطعت الهرب والاختباء ليومين، ظننت أنهم سيتركونني وشأني، لكنهم أمسكوا بي وعرفت بالطريقة الصعبة أن قوانينهم هنا صارمة للغاية، فقد قاموا بضربي بالعصي من دون رحمة مسببين لي بالعديد من الكدمات في جسدي، ثم زجوا بي في السجن بعد أن أخذوا صورة لي بكاميرة تصوير قديمة الطراز... الغريب أنه السجن كان خاليًا تقريبًا وعدد المساجين فيه اثنان، أنا ورجل آخر،

حاول السجين التحدّث معي لكن لم يفهم أحدنا الآخر، بعد ساعات أتى رجال من رجال الشرطة وبقربهم رجل يرتدي عوينات مريبة ورداء العلماء الأبيض عليه شعار أشبه بسحابة رعديّة، كان رداؤه متسخًا بدماءٍ جافة، أشار نحوي أنا والسجين، وعرفت أن شيئًا سيئًا سيحصل لأحدنا، تحدّث معه شرطي بشيء لم أفهمه، ثم دخل أحد رجال الشرطة، وأمسكوا بالسجين الآخر الذي ألقى بسرعة بشيء على الأرض تحت قدمي، قمت بالوقوف على ذلك الشيء حتى لا ينتبه له أحد... بعد أن رحلوا وجدت أن القطعة هي دبوس معدني، ذلك السجين يحاول مساعدتي!

انتظرت قليلًا إلى أن أصبح المكان خاليًا، واستطعت الهرب بفتح القفل، إنها مهارة أعرفها من ماضيّ ولم أنسها، فتحت القفل وخرجت، لكن لم أستطع الخروج من المبنى فقد وجدت أن الكثير من الشرطة عند المخرج، لهذا تسللت أكثر إلى داخل المبنى، أسرعت ودخلت إلى غرفة، كانت أقرب إلى غرفة عمليات، ثم سمعت صوت بعض الأشخاص القادمين لهذا أسرعت واختبأت في فتحة التهوية، كانوا عمال نظافة، قاموا بمسح الأرض ثم خرجوا، ودخل بعد ذلك بعض الأطباء وهمّ يدفعون بسرير مرضى ثُبت عليه السجين الذي كان معي... بدأ الأطباء في شقّ رأسه والسجين المثبت على

سرير العمليات يحاول الهرب ويصرخ بكلّ ما أوتي من قوة، كانوا يزرعون شيئًا في دماغه، لم أحتج لمعرفة اللغة لأعرف أنه لم يردّ ذلك الشيء في رأسه»

- «ربما... يزرعون بداخله شريحة تحكّم كالتي يزرعونها في أدمغة الحيوانات!»

- «لا أعلم، لكن بعد أن انتهت العمليّة، بدأ السجين يتصرّف بشكل مغاير، كان هادئًا يبتسم ابتسامه خالية من الروح، فكوا وثاقه، ووقف وأطلقوا سراحه»

- «إذن هذا العالم يقوم بالتجارب على البشر! هذا قاسٍ»

- «عرفت أن مصيري سينتهي كذلك السجين إن بقيت، لهذا سرت داخل فتحت التهوية في اتجاه معاكس عن المخرج، هناك وصلت إلى إحدى الغرف البعيدة، وجدتها خالية من الأشخاص، بها مكتب، وهناك نافذة مرتفعة، نزلت من فتحة التهوية، وجذب انتباهي وجود قداحة وعلبة سجائر على المكتب، أخذت القداحة ووضعتها في جيبي، ثم سارعت بالخروج من النافذة التي بالكاد استطعت المرور من خلالها، لأجد نفسي في جزء معزول عن المدينة بسور ضخم مشترك مع سور المركز الأمني، كان المكان خاليًا وأمامي على مسافة كبيرة يوجد مبنى ضخم للغاية، تقدّمت قليلًا ورأيت أمامي

على بُعد عشرات الأمتار جثة لنملة عملاقة بحجم حصان قد قُطعت أشلاء! تعجبت لرؤية هذه النملة العملاقة! الأهم مَن قام بتقطيعها بوحشية هكذا؟! هنا سمعت صوت نباح مرتفع وانطلقت عدة كلاب حراسة عملاقة نحوي في شراسة...

إنها كلاب الأمن هنا!

إن أمسكت بي هذه الكلاب فأنا ميت لا محال، إنهم مَنْ قطّع النملة العملاقة إلى أشلاء، وهذا ما سيفعلونه بي إن أمسكوا بي، هربت بأسرع ما يمكن نحو جثة النملة متجاهلًا ألم الكدمات الموجودة على جسدي نتيجة الضرب الوحشي من رجال الشرطة العسكريّة، لكنهم أسرع مني بمراحل، حين اقتربت من جثة النملة العملاقة رأيت بالقرب منها فتحة في الأرض، لم أنتظر لأعرف ما عمقها وقفزت فيها قبل أن ينقض عليّ أحد الكلاب العملاقة بجزء من الثانية، توقفت الكلاب وهي تنبح وتنبش التراب أمّا أنا فقد سقطت في ممر ترابي وبقيت أتدحرج إلى أن توقف جسدي على أرض ترابية، حين وقفت... وجدت أن المكان أقرب لنفق يتسع لقطار!

رجعت إلى الخلف ووجدت أن الحفر قد توقف، لا خيار أمامي سوى التقدّم في النفق نحو المبنى...

بعد السير لفترة من الزمن، وصلت إلى نهاية مغلقة أخرى

بالحجارة، لكن هناك نور يتسلل من بين تلك الحجارة، استطعت أن أزيح عدة صخرات واستطعت العبور...

كان المشهد مخيفًا، قاعة مختبر فيه العديد من أقفاص تحتوي على حشرات بحجم عادي من فصائل مختلفة، وخزانات عملاقة من محاليل تطفو في داخل كلّ منها حشرة من فصيلة مختلفة، وهناك أحد الخزانات محطّم...

استطعت أن أستنتج أنهم يجرون تجارب لزيادة حجم الحيوانات والحشرات هنا، وبشكل ما هربت النملة العملاقة التي رأيتها ميتة من هذا المختبر وانتهى الأمر بها بالموت بأنياب الكلاب بعد خروجها إلى السطح...

سمعت أصواتًا، فاختبأت بسرعة في الظلال خلف أحد الصناديق، إنهم علماء يرتدون زيًّا عليه نفس الشعار الذي كان على زيّ الطبيب الذي رأيته في السجن، سحابة رعديّة، يجب أن أخرج من هذا المكان وإلا قاموا بوضع شيء ما في رأسي كما فعلوا في السجين الذي كان معي...»

قلت مقاطعًا:

- «أذكر أنني شاهدت ذلك الشعار، أظن أنك كنت في مختبرات كازينسكي»

أكمل فراس متجاهلًا ما قلته:

- «هكذا أكملت بحذر وصبر التسلّل من غرفة إلى أخرى، كان المكان أقرب إلى متاهة، وشاهدت الكثير من الأمور العجيبة داخله، هناك غرفة يقومون بدراسة تحمّل بعض الحشرات كالنمل للنفايات المشعة في أثناء نقلها لصناديق تحمل تلك المواد، غرفة أخرى تحتوي على سرطان بحر عملاق يقوم بنحت تماثيل بدقة! غرفة أخرى تحتوي على عدد من الهامستر العملاقة التي تدور على عجلات لشحن بطاريات ضخمة بقربها!

لا تسألني لمَ لم يمسكوا بي، فأنا بارع في الاختباء، بعد العديد من الغرف وجدت غرفة فيها مواد كيميائية قابلة للاشتعال، حتى لو تغيرت العالم ولغته فما زالت الرموز المنذرة بالخطر هي نفسها في كلّ عالم، ولا تنسى الرائحة المميّزة لكل مادة كيميائية... خطرت لي فكرة للهرب، وأخذت حاجتي من هذه المواد الكيميائية ووضعتها في حقيبة الكتف وجدتها هناك وأكملت طريقي للعودة نحو النفق الذي أتيت منه...

في طريق العودة احتجت لأن أختبأ بسبب قدوم أشخاص من الممر، فدخلت إحدى الغرف التي لم أدخلها سابقًا،

ووجدت نفسي في قاعة ضخمة، في منتصفها كرة صغيرة تطفو في الهواء وتتوهج بالأبيض وتحيط بها سحابة بنفسجية فيها ملايين النجوم المتلألئة»

- «فراس! هذا هو المخرج من هذا العالم!»

- «لكني لمست المخرج، ولم أنتقل من هذا العالم اللعين!»

- «ماذا؟!»

- «كلّ بضع دقائق كانت تدخل عربة محمّلة على ظهر خنفساء عملاقة وتقوم بسحب جزء من سحابة الطاقة داخل جهاز يبدو كمكنسة كهربائية ثم تغادر إلى إحدى غرف التجارب...

اقتربت من الكرة البيضاء وسحابة الطاقة، كانت الكرة تجذبني نحوها، شعور بالفضول والانبهار بالمنظر الخلاب جعلني أمد يدي نحوها دون تفكير، أمسكت الكرة التي لم تتحرك! كانت ثقيلة للغاية رغم أنها تطفو في الهواء، بدأت أجزاء من السحابة باختراق جسدي وهنا شعرت بالطاقة والحيوية كأنني نمت نومًا مريح للغاية، ورأيت الكدمات التي على جسدي تتعافى وتختفي أمامي! كان هذا غريبًا بحق، وعلمت أن هذا الشيء ليس من هذا العالم ولا يتبع

قوانين الفيزياء فيه»

- «فراس، هذا غريب... أنا انتقلت من العالم السابق إلى هذا العالم من خلال سحابة كتلك»

صمت فراس قليلًا ثم قال:

- «أعتقد أن الكرة البيضاء هي التي تصدر السحابة وتلك السحابة هي مجرد مصدر طاقة نقي له خواص علاجية على مستوى الخلية، وعملية النقل تحدث بسبب جهاز بوصلة النجاة الذي يستخدم تلك الطاقة لنقل الشخص من عالم لآخر، تذكّر أنها مختلفة عن الثقوب السوداء الصغيرة التي انتقلت عبير من خلالها إلى بُعد نسيج الزمن(14)»

صمت لوهلة وتذكرت أنّ جراحي قد تعافت في عالم شجاع، لكن كان ذلك قبل دخولي للسحابة، ربما الاقتراب منها فقط يكفي لعلاجك! أطلقت صفيرًا وأنا مندهش من ذكاء فراس:

- «أعتقد أن تفسيرك منطقي يا فراس»

- «ربما هناك الكثير من الأسرار التي لا نعرفها عن الجهاز، من دونه لا أمل لأحد بالنجاة، ربما العدّ التنازلي يشير إلى مقدار كافٍ من سحابة الطاقة للتنقل... على أيّ حال... بعد

أن شعرت أنني بحال أفضل، رأيت خلف تلك السحابة شريطًا أسودَ اللون على طاولة، لقد رأيت العديد منها على مؤخرة عنق العديد من الأشخاص هنا، لكن هذا الشريط مختلف في التصميم، كان هو والكرة البيضاء التي تنتج السحابة البنفسجية فقط في تلك القاعة الضخمة، لهذا أحسست بأهميته وأخذت الشريط، وهنا وجدت أنني قد قمت بعملٍ خاطئ آخر في هذا العالم...

انطلق إنذار الطوارئ وتحوّلت الإنارة للون الأحمر، أسرعت بالخروج لأجد أن رجال الشرطة يركضون في الممرات نحوي، أسرعت وركضت في الاتجاه المعاكس، أمسكت حقيبتي وقمت بمزج خليط في كأس ثم أشعلته وألقيت به داخل إحدى غرف التجارب وكررت ذلك في غرف مختلفة، صنع ذلك نوع من الهلع بين العلماء والمهندسين وسبب هروب بعض حيوانات التجارب التي لم يتحكموا بها، تلك الفوضى العارمة ساعدت في إبطاء تقدّم رجال الشرطة، بالإضافة إلى أنني كنت بكامل نشاطي وصحتي بعد تعرضي للسحابة البنفسجية، لهذا استطعت الوصول بعد الكثير الركض إلى مختبر الحشرات...

دخلت عن طريق الفتحة التي صنعتها سابقًا في النفق الذي

قامت النملة العملاقة في حفره وحاولت أن أغلق الفتحة خلفي، ثم أكملت طريقي إلى أن وصلت إلى المخرج الآخر حيث كلاب الحراسة العملاقة تنتظر رؤية أيّ شيء لتقطعه إربًا، قبل الصعود، صنعت الخليط الذي أحتاجه في إحدى الزجاجات الكيميائية ووضعت قطعة مزقتها من ملابسي فيها، ثمّ صعدت، حين خرجت بدأت الكلاب بالنباح والركض نحوي، أما أنا فبدأت الركض نحو السور، وأشعلت اللفافة ورميت الزجاجة على السور ثم انبطحت أرضًا وأغلقت إذني، كان الانفجار مدويًا وجعل ذلك الكلاب تتراجع في خوف إلى الخلف، لقد سبب الانفجار فتحة تكفي للعبور منها، خرجت منها إلى المدينة، لم يكن هناك وقت لأخذ راحة، فقد انطلق الكثير من رجال الشرطة من المركز الأمني وبدأوا بملاحقتي، وفي أثناء عمليّة الهروب التي استمرت عشر دقائق، وصلت إلى زقاق وفيها شخص أشار لي بأن أذهب من طريق ما، لم يكن لي خيار سوى أن أصغي له، نظرت خلفي ووجدت أنه بدأ يلوح للشرطة وقد أخذ انتباههم وبدأ بالركض ليتبعوه بدلًا عني!

أنا لا أعرف من ذلك الشخص لكنه أنقذ حياتي، بعد ذلك انتشر رجال الشرطة في كل مكان في المدينة وقد نشروا صورتي في كل مكان على منشورات ورقيّة، وعشت اليوم

الماضي في جحيم وأنا أهرب بين أسطح المنازل وأختبئ من زقاق لزقاق، وأنا أهرب من مطاردات كثيرة كنت أنجو منها بأعجوبة»

- «لقد مررت بالكثير، لكن يجب أن نعود إلى المختبر بشكل ما، هل تبقى معك ما يكفي من المواد الكيميائية لصنع متفجرات تساعدنا على اقتحام المكان؟!»

فتح فراس حقيبته وأخرج ما فيها، قداحة، ملابس قديمة وعبوات كيميائية زجاجية صغيرة شبه فارغة، قال:

- «للأسف لا، ما تبقى بالكاد يكفي لصنع مفرقعة صغيرة!»

- «كم تبقى لنا من الوقت؟»

نظر فراس إلى بوصلة النجاة وقال:

- «تبقى يومان وثمان ساعات»

نظرت إلى ساعة اليد، من المفترض أنَّ تسع ساعات قد مرّت منذ أن تفقدت العدّ التنازلي وفي ذلك الوقت كان يشير العدّ إلى يومين وعشرين ساعة، والآن بعد تسع ساعات أنه يشير إلى يومين وثمانِ ساعات، أيّ أن هناك ثلاث ساعات قد ضاعت من العدّ مجددًا، لا يعقل أن الساعة الثانية فيها خلل، ما الذي يحدث يا ترى؟!

أخبرت فراس بذلك، قال:

- «لقد كنت أراقب الجهاز منذ أن استيقظت، ولاحظت مرتين أن العدّ يقفز بعض الدقائق»

- «ما الذي يحدث هنا؟!»

هنا رنّ الهاتف القديم الموجود في الغرفة، قال فراس:

- «هل تتوقع اتصال من شخص ما؟!»

- «لا، ربما كان بالخطأ أو كان صاحب النزل يريد إخبارنا شيئًا»

أمسكت السماعة وفور أن وضعتها على أذني قالت المتحدّثة:

- «اهربا بسرعة، لا يوجد وقت، لقد بلغّ صاحب النزل عنكم، اهربا الآن»

- «من أنت؟ وكيف كشف صاحب النزل أمرنا؟!»

- «هذا ليس مهمًا، سوف يطلقون السلاح الفتاك، اهربا الآن وسوف تجدونني في الحيّ السابع عند متجر...»

- «نحن لا نعرف أسماء المناطق هنا»

- «قابلني عند قدم الفيل اليمنى الأمامية»

ثم أغلقت الخط...

- «فراس، لقد كشفوا أمرنا بشكل ما، يجب أن نهرب الآن»

رتبنا أغراضنا بسرعة وأخذناها ووضع فراس الخريطة في حقيبته ثم خرجنا من الباب ليسقط صاحب النزل الذي ألصق أذنه على الباب، قال:

- «أين أنتما ذاهبان؟! انتظرا قليلًا»

- «لقد كنت تتجسس علينا أيها اللعين!»

وقف صاحب النزل ليمنعنا لكن فراس لكمه فسقط الرجل مجددًا على الأرض، ثم خرجنا مسرعين، وبعد أن ابتعدنا مسافة رأينا رجال الشرطة يقتحمون النزل، ليخرج صاحب النزل ويشير نحونا...

كنت أركض والنقود تصدر أصواتًا «خرخشة» مرتفعة، صرخ فراس:

- «مازن، ارمِ النقود، هكذا لن نستطيع الهرب»

- «لكن...»

- «حياتنا أهم الآن»

- «هذا صحيح»

أخرجت من جيوبي ورميتها على الأرض، بينما انطلق رجال شرطة على ظهر كلاب حراسة عملاقة نحونا وآخرون ركضًا على الأقدام...

أخرج فراس الخريطة من حقيبته وتصفحها بسرعة ثم قال:

- «لقد سئمت من هذه المطاردات، اتبعني يا مازن»

دخل فراس من أحد الأزقة، ثم خرج منه وتوجه لزقاق ضيق آخر، توقفت الكلاب ولم تستطع ملاحقنا، بينما استمر رجال الشرطة الذين يسيرون على أقدامهم في اللحاق بنا بكلّ عزيمة، مررّنا بمنزل يحتوي على مزرعة الدجاج الذي بحجم النعام، هنا توقف فراس، قلت له لاهثًا:

- «ما تفعل؟ إنهم خلفنا، لا نستطيع التوقّف أكثر، هيا»

قال وهو يفتح حقيبته ويخرج زجاجات المواد الكيميائية ويخلط ما بها:

- «لحظة، لدي خطة، افتح الباب للدجاج»

لم انتظر حتى أفهم ما يريد فعله وقمت بإمساك حجر

- «هذا صحيح»

أخرجت من جيوبي ورميتها على الأرض، بينما انطلق رجال شرطة على ظهر كلاب حراسة عملاقة نحونا وآخرون ركضًا على الأقدام...

أخرج فراس الخريطة من حقيبته وتصفحها بسرعة ثم قال:

- «لقد سئمت من هذه المطاردات، اتبعني يا مازن»

دخل فراس من أحد الأزقة، ثم خرج منه وتوجه لزقاق ضيق آخر، توقفت الكلاب ولم تستطع ملاحقنا، بينما استمر رجال الشرطة الذين يسيرون على أقدامهم في اللحاق بنا بكلّ عزيمة، مررّنا بمنزل يحتوي على مزرعة الدجاج الذي بحجم النعام، هنا توقف فراس، قلت له لاهثًا:

- «ما تفعل؟ إنهم خلفنا، لا نستطيع التوقّف أكثر، هيا»

قال وهو يفتح حقيبته ويخرج زجاجات المواد الكيميائية ويخلط ما بها:

- «لحظة، لدي خطة، افتح الباب للدجاج»

لم انتظر حتى أفهم ما يريد فعله وقمت بإمساك حجر

وضرب القفل الموجود على باب المزرعة إلى أن انكسر ثم فتحته، لكن الدجاج نائم ولم يقم بشيء...

- «هيا يا فراس إنهم يقتربون»

أشعل فراس الخليط ورماه بين الدجاج، ليصدر صوتًا مدويًا أيقظ الدجاجات في فزع، وجعلها تركض نحو الشارع... أمسكني فراس ودفعني نحو الحائط حتى لا ترتطم إحدى الدجاجات العملاقة بي...

- «هيا بنا يا مازن، ستشتت هذه الحركة انتباههم لفترة تكفي أن نبتعد»

أكملنا الركض وقد توقفت الملاحقة، يبدو أن خطة فراس قد نجحت..

بعد ربع ساعة من الركض وصلنا إلى أسفل قدم الفيل، ومن خلف ظل القدم همس لنا صوت أنثوي:

- «من هنا»

تبعنا الصّوت، أمسكت بيد فراس ثم ركضت به وأنا أتبعهما إلى منطقة فيها ركام ودخلت من خلف ذلك الركام إلى مخبأ سري تحت الأرض...

كان هناك العديد من الأشخاص يجلسون وهناك شمعات قليلة تنير المكان، حين اعتادت عيني على الضوء الخافت رأيت وجوههم، شباب بمقتبل العمر، وتعرّفت على بعض من تلك الوجوه... قلت في توتر:

- «أنتم! لقد رأيت صوركم على منشورات المجرمين المطلوبين في النزل!»

قالت الفتاة:

- «أنا أليكساندرا، ونحن حزب الحرية، الحزب الوحيد الذي يعارض رجال الشرطة العسكريّة، وأنت تعلم كل من يعترض هو مجرم لأولئك الأوغاد»

عرّف فراس عن نفسه وعنّي، كنت أشعر بالأسى عليهم، أولئك الشباب هم الوحيدون من امتلك الشجاعة للوقوف أمام السلطة الدكتاتورية للشرطة العسكريّة... أكملت أليكساندرا:

- «أنا لا أعرف من أنتما، لكن الضجة التي قام بها هذا الشاب قدّ هزّت كيان الشرطة العسكري بأكمله، لم نرهم في حالة استنفار كهذه»

فراس:

- «كيف عرفتم أن صاحب النزل قد بلّغ عنا؟»

أليكساندرا:

- «لدينا صديق يعمل لدى صاحب النزل وهو أخبرنا بأنه قد شكّ في أمركما، صاحب النزل رجل بخيل ويستخدم بقايا مياه الاستحمام في تنظيف النزل! بعد أن شاهد مياهًا فيها صبغة لون شكّ في أمركم ثم قام بالتنصّت من الباب وسماع بعض من كلامكم، وعندما قام صاحب النزل بإخبار رجال الشرطة أسرع الشاب لمكان قريب فيه هاتف وقام بتبليغ بما حصل»

قال فراس وهو يشير لأحد الأشخاص:

- «أنت... ألست أنت من ساعدني بالهروب في ذلك اليوم؟»

قال الشاب:

- «أجل، كلّ من يحارب سلطتهم هو رفيق لنا، اسمي بيير بالمناسبة»

قلت في شفقة:

- «لمَ تحاربونهم؟ إنهم أكثر منكم عددًا وعدة، لقد رأيتهم يضربون أحد الشباب من دون رحمة»

قالت أليكساندرا في غضب:

- «إن لم نفعل هذا فلن يفعله أحد، نحن صوت الحرية المتبقي، أنا لن أتحدّث عن التجارب اللاأخلاقية المؤلمة جدًا التي يقوم بها أولئك الأوغاد على الحيوانات، الشريحة لا تزيل الألم من الحيوانات، بل تنسيهم بعد فترة أنهم شعروا بالألم، لن أتحدّث عن الدكتاتورية في رفض اعتراض أجدادنا للقتل الذي قاموا به منذ الحرب العالميّة الثانية، ورفضهم اعتراضنا على سياساتهم اللعينة، لن أتحدّث عن الوهم الذي يعيش به الناس هنا، لكن سأخبرك بشيء واحد، لقد اكتشف والدي أنهم يطبقون التجارب علينا، أجل كلّ واحد فينا يمتلك شريحة في دماغه، أتعلم متى زرعوها؟ عند الولادة! أجل، وضعوا قوانين صارمة لإحضار الطفل بعد الولادة إلى مستشفياتهم بحجة الفحوصات وإصدار البطاقة التعريفيّة، لكنهم يزرعون في دماغه شريحة تحكّم، وبهذا أن حاول الشعب الاعتراض فإنهم يرسلون لعقله الباطني أوامر بالانصياع، لقد كلّف ذلك الاكتشاف حياة والدي، ووجدنا طريقة مؤلمة للغاية لتدمير تلك الشريحة، أخبرني يا سيد مازن، أتريدنا بعد كل ما سمعت أن نجلس في بيوتنا ونشاهد الأفلام الملوثة بأفكارهم والتي ترسل رسائل لاشعورية subliminal message إلى الشريحة لتضّمن التحكّم

بالناس!»

قلت في صدمة:

- «أنا... لم أعرف أن الوضع بهذا السوء، لهذا الكلّ في هذه القارة يبتسمون للشرطة العسكريّة في بلاهة رغم غرابة الموقف وعنف الشرطة معهم!»

فراس:

- «هل رجال الشرطة العسكريّة قد زرعت له تلك الشريحة أيضًا؟!»

أليكساندرا:

- «الأمر معقد قليلًا، تقسم الشرطة العسكريّة إلى ثلاثة أقسام: القادة وهمّ أشخاص أحياء من زمن الحرب العالميّة الثانية استخدموا الطاقة على أنفسهم لتجدد خلاياهم والحفاظ على الحكم، لديهم ثلاث نجوم على زيهم، والشرطة العليا وتُزال شريحة التحكّم بعد أن يثبتوا ولاءهم، معايير اختيار الشرطة العليا هو أن يكون الشخص من فاسدي القلوب دون الحاجة لشريحة تحكّم تلوث عقولهم الفاسدة وزيّهم يحتوي على نجمتين، والشرط الآخر أن يكون قادرًا على استخدام النيورولينك، والقسم الثالث هم الشرطة

الجدد، وتبقى الشريحة في عقولهم لضمان ولائهم، والشرطي منهم لديه نجمة واحدة على زيّه»

قال فراس:

- «أعتقد أن السجين الذي كان معي حين سجنت كان واحدًا منكم»

أليكساندرا:

- «أجل، لقد أمسكوا به وعرفوا أن الشريحة قد عُطِّلتْ، لهذا قاموا بزراعة شريحة متطوّرة لا يمكن إزالتها وغُسل دماغه بأوامر جديدة، وحين عاد فشل رفاقي في محاولات إزالتها وانتهى الأمر بهم في معركة معه وقد سلّم بعضًا من رفاقنا للشرطة العسكريّة»

حلّ الصمت على المكان، نظرت إلى الوقت المتبقي في بوصلة النجاة، يومان وخمس ساعات، لقد قفز الوقت مجددًا! هناك قرابة الساعتين لا أعرف كيف مضت!

جلست على الأرض وأنا أحاول أن أجمع جميع أجزاء الصورة، لم يحدث أن اختلف الوقت على حسب علمي في عالم شجاع، لقد كان اليوم يعطي أربعًا وعشرين ساعة تقريبًا بناءً على وقت الغروب للغروب الذي يليه... ما الذي اختلف

هنا؟!

تذكرت كلام والدة شجاع، لقد قالت شيئًا عن بطاريات فائقة الطاقة بعد إيجاد دولة ما لمصدر طاقة هائل، ربما كانت تقصد سحابة الطاقة، لقد كانت في مختبر والديّ شجاع، ويبدو أنهم قادرون على نقلها من مكان لآخر، في عالم شجاع قاموا بأخذ أجزاء من سحابة الطاقة وقد استخدمها من اكتشفها قبلهم في صنع بطاريات فائقة الطاقة منها والتي كانت إحدى مسببات الحرب العالميّة الثالثة، في هذا العالم قد وجدوها الاتحاد السوفيتي، وقد استخدموها كطاقة لتهجين الحيوانات والحفاظ على الحيوانات من الاحتراق بعد عمليّة التضخيم بالإضافة للتحكّم بها، أعتقد أن الخواص العلاجيّة لهذه الطاقة تمنع احتراق الخلايا، وقد قاموا بنقلها إلى مختبر كازينسكي بعد أن سيطروا على القارتين الأمريكيتين، لكن هذا لا يفسر لمَ يقل الوقت بشكل عشوائي؟! ما ذاك الاختلاف الذي جعل الوقت يتصرّف هكذا؟! وهنا قفزت الإجابة وقلت في صدمة لفراس:

- «أعتقد أن العدّ التنازلي يقلّ كلما قاموا بأخذ جزء من طاقة السحابة! ألم تقل بأنهم يأخذون كلّ فترة من الزمن جزءًا من تلك السحابة»

قال فراس في توتر:

- «أجل! هذا يعني أن الوقت سوف ينتهي بأسرع مما نتوقع! انتهاء الوقت يعني انتهاء الطاقة ومعنى ذلك أننا سنعلق في هذا العالم الكريه للأبد!»

- «نحن في ورطة لم نحسب لها أيّ حساب، على هذا الحال ربما لدينا يوم واحد أو ساعات فقط!»

هنا قال فراس للفتاة:

- «نحن بحاجة لأن نذهب لمختبر كازينسكي بأسرع وقت»

- «هذا مستحيل، لو كنا نستطيع فعل هذا لقمنا بذلك منذ زمن، الحراسة مشددة من الخارج وإن دخلت فلن تستطيع عبور الساحة الواسعة بسبب كلاب الحراسة المتوحشة التي أمرتْ بقتل أيّ كائن تراه»

اقتحم المكان أحد الشباب الذين كانوا يراقبون المدخل وقال بسرعة وبصوت مرتجف:

- «لقد اقترب رجال الشرطة العسكريين ومعهم السلاح الفتاك! يجب أن نتحرك»

قلت:

- «ما المقصود بالسلاح الفتاك؟! منذ أن أتيت وأنا أسمع كلام عنه في أماكن مختلفة»

أليكساندرا:

- «لا أحد يعرف، كلّ من رأى ذلك السلاح، لم يعش ليحكي الحكاية! يجب أن نهرب الآن!»

أمسك الشباب بالشموع وأطفأوها ما عدا واحدة وبدأوا بالركض في ممرات قديمة. قال فراس لأليكساندرا:

- «لقد دخلت المختبر وخرجت منه بصعوبة، لمَ تريدون أن تصلوا إليه؟!»

- «قبل أن يموت والدي أخبرني بأن هناك قطعة النيورولينك الرئيسية في داخل المختبر و...»

هنا سمعنا صراخًا من الشباب الذين كانوا في الخلف، ثم طار بيير أمام عيوننا وارتطم بالحائط، هناك شيء يتحرّك بسرعة، بين الشموع ظهر للحظات جزء من جسده الذي بدا كأنه تنين أو أفعى عملاقة، صرخت أليكساندرا: «**اللعنة، تفرقوا لعل ذلك يشتته**»، ركض كلّ مجموعة من الشباب في اتجاهات مختلفة... ركضت أنا وفراس وأليكساندرا... كانت أصوات رجال الشرطة العسكريّة تتعالى من الخلف، أنهم

أيضًا يلحقون بنا!

نادى فراس وسط الأحداث: «**أليكساندرا...**»

أليكساندرا: «**ليس هذا الوقت المناسب للكلام، اهرب**»

فراس: «**هذا مهم، أنا لست متأكدًا لكن هل تقصدين هذه؟!**» وأخرج فراس من حقيبته القطعة التي أخذها من المختبر!

- «هل أنت جاد؟!»

أعطيتها إياه وهنا من دون سابق انقض ذلك الوحش علي وحملني بأنيابه، بينما ركلت إحدى أرجله أليكساندرا وجعلتها تطير وترتطم الأخرى بالجدار!

هنا تبين لي ما هو ذلك الوحش، إنه حريش عملاق بلون أحمر(15) كان يحقن سمه في جسدي بينما أنا أتعرّق...

حاولت أليكساندرا وضع الشريط على عنقها لكنها صرخت وهي تتألم:

- «اللعنة، أنا لا أصلح لاستخدامه! اللعنة»

كنت أصرخ:

- «افعلوا شيئًا، سيحطم أضلاعي!»

ألقت أليكساندرا بالشريط نحو فراس وصرخت: «**ضع النيورولينك يا فراس!، إن احتمالية النجاح ضئيلة لكن أنت أمل رفيقك الوحيد، هذا الجهاز يتحكّم بأيّ شريحة، بسرعة قبل أن يموت مازن**»

فراس في توتر:

- «ماذا أفعل؟! وكيف أتحكّم به؟!»

كنت أصرخ وأشعر بألم يتصاعد والضغط من أنياب الوحش يزداد...

أليكساندرا:

- «أيها الأحمق، ضعها على مؤخرة عنقك وفكر فقط بإيقاف الحشرة اللعينة»

أنا أغلي والتنفس أصبح صعبًا وأشعر بسائل غريب يتسلل إلى عروقي....

لم يتردد فراس في وضع النيورولينك، وهنا توقفت الحربشة عن الحركة ثمّ أزالت أنيابها ووضعتني أرضًا... وقف فراس وأمسكني وقال:

- «هل أنت بخير؟!»

قلت بصعوبة:

- «لا أظن ذلك، أعتقد أنها وضعت بعضًا من سمها في داخلي»

ظهر خلف الحريش رجال الشرطة العسكريّة، وهم يحملون العصي وقد هجموا علينا، لكن فراس قال:

- «انقض عليهم»

فتحرّك الحريش بسرعة وبدأ بمهاجمة رجال الشرطة، قالت أليكساندرا التي وقفت بقربي وهي تنزف:

- «لقد نجح الأمر، لا أعلم لمَ صلح الجهاز معك، يجب أن نخرج من هنا، سوف ينهار المكان»

أمسكني فراس وساعدني على الوقوف بمساعدة أليكساندرا، وقام شباب حزب الحرية بمساعدة من سقط من رفاقهم، وخرجنا من ذلك المكان قبل أن ينهار! لنجد عشرات من رجال الشرطة ينتظروننا في الخارج مع كلاب متوحشة!

قال قائد رجال الشرطة:

- «لقد انتهى الأمر، سلموا أنفسكم من دون مقاومة وسوف

نضمن عدم موت أحد منكم»

أليكساندرا:

- «اللعنة، لقد نصبوا لنا كمينًا!»

هنا بدأت الناس تخرج من المنازل وهي تحمل معدات مختلفة تصلح للقتال، وبدأت تقاتل الشرطة!

صرخ القائد:

- «أيها الوغد، هل تقوم بالتحكم بالناس من أجل حمايتك؟! ما الذي تختلف فيه عنا؟!»

فراس:

- «أنا لا أتحكّم بهم، أرسلت أمرًا واحدًا، تجاهلوا كلّ الأوامر التي غسلت أدمغتكم بها، إن كنتم تريدون الحرية فاسعوا لها... وكما ترى إنهم يريدون الحرية من أعماقهم، إنهم يريدونها الآن!»

هجم الشعب وكانت معركة ملحمية، انطلقت الكلاب لتمزق الشعب، بعض رجال الشرطة الجدد انضم لمساعدة الشعب، فيل عملاق يتحكم به أحد العمال قام بمدّ خرطومه وبدأ يلقي بالكلاب بعيدًا...

فراس:

- «يجب أن أبعد مازن عن كلّ هذا»

أليكساندرا:

- «لن تستطيع فعل هذا وحدك، أنت بحاجة لمساعدتي»

انطلقنا مبتعدين مع أليكساندرا التي رفضت أن تتركني، ودخلنا إلى أحد المنازل الخالية، وأراحني فراس على الأرض، أخرج فراس بوصلة النجاة ووجد أن الوقت قد قفز مرة أخرى، هذه المرّة لم يتبقَ لنا سوى أربع عشرة ساعة، نحن لا نستطيع الاعتماد على هذا العدّ بعد الآن...

فراس:

- «اللعنة، الوقت يقل بشكل أسرع»

أليكساندرا:

- «ماذا تقصد بالوقت الذي يقل؟!»

فراس:

- «يجب أن نذهب إلى المختبر، نحن لسنا من هذا العالم، وإن انتهت طاقة الكرة البيضاء المتوهجة التي تصدر سحابة الطاقة، فسوف نعلق هنا للأبد»

أليكساندرا:

- «لحظة واحدة! ماذا تقصد بأنك لست من هذا العالم؟!»

فراس:

- «لا وقت للشرح، لقد رُمينا من قبل شخص شرير إلى عوالم مختلفة، ونحن نحاول الهرب قبل أن ينتهي الوقت ووسيلة هربنا في المختبر، وقريبًا سوف نفقدها للأبد»

أليكساندرا وهي تتنهد:

- «على أيّ حال لقد قمت بمساعدتنا وسيكون من السيئ ألا أساعدكم في المقابل حتى لو كنتم مجانين هاربين من المصحة، انتظروني قليلًا»

ثم خرجت أليكساندرا من المكان، قلت لفراس وأنا أتألم بشدة:

- «اتركني يا فراس، أنا ميت لا محال، لقد حقنني ذلك الحريش بكمية من سمه»

- «أنا لن أتخلّى عنك يا مازن، ليس بعد أن أنقذتني حين أتيت إليّ»

- «لا أمل لي بالنجاة يا فراس»

- «لا تكن غبيًا، إن وصلنا إلى سحابة الطاقة فهي قادرة على علاجك، أليس كذلك»

ما يقوله صحيح، لكن هذا سباق مع الوقت، ربما أموت قبل أن نصل، وربما تنتهي الطاقة حتى لو وصلنا! سمعنا نداء أليكساندرا:

- «هيا تعاليا إلى هنا»

خرجنا ووجدنا أنها قد أحضرت حصان (من النوع القزم لكنه عملاق كما ذُكر سابقًا)، صعدنا على ظهره وانطلقنا نحو سور المختبر، قالت أليكساندرا:

- «لا أعلم إن كانت المعلومة هذه ستساعدكم، لكني قرأت تاريخ البحث الذي قامت به مختبرات كازينسكي، لقد نفد مصدر الطاقة منذ أن اكتشفوه قبل أكثر من مئتي عام، واستغرق ثلاثين عامًا ليتجدد ذاتيًا كأنه بئر من الآبار الجوفية»

فراس:

- «أشكرك على هذه المعلومة، لكننا غير مستعدين للبقاء ثلاثين عامًا في هذا العالم، لهذا يجب أن نهرب في أقرب وقت»

أليكساندرا:

- على أيّ حال هناك معلومة أخيرة، إنْ مت وأنت تلبس النيورولينك فهذا سيتلفها ولن يستفيدوا منها، لهذا سيحاولون تجنب قتلك»

- «هذه معلومة مفيدة»

قالت وأنا أراها تبتسم لأول مرة:

- «أتمنى لكما التوفيق يا فراس ومازن، لقد حدث كل شيء بسرعة ولم يتسنَ لي أن أتعرّف عليكما أكثر، لكني أستطيع القول بأنكما شخصان مذهلان»

توقفنا وقد وصولنا إلى وسط معركة بين الشرطة والشعب عند السور، قالت أليكساندرا:

- «يبدو أن هذا هو الوداع، سوف أشغل رجال الشرطة إلى أن تمروا ممر خلف تلك الألواح، لقد قمنا بصنع حفره فيه خفية على مدى السنين لكننا لم نستطع أن نعبر منه بسبب كلاب الحراسة»

نزلت من الحصان بمساعدة من فراس وأنا أشعر بألم حاد في صدري... وانطلقت أليكساندرا وهي تصرخ بصوت قيادي

هزّ المكان:

- «الحرية... الحرية للجميع»

تبعتها صرخة حماس من كلّ الشعب قامت بهزّ كيان الشرطة!

أسرعنا بالمشي نحو الألواح، ودخلنا من خلفها ونحن نسمع صوت المعركة في الخارج، خلف الأسوار رأيت المسافة بعيدة جدًا للمختبر، قلت في ضعف:

- «أشعر بالبرد وألم في صدري، اتركني واذهب يا فراس، لن تستطيع قطع المسافة معي مشيًا»

- «ومن قال أننا سنمشي؟!»

كانت كلاب الحراسة تركض بوحشية نحونا، قال فراس:

- «توقفي»

توقف كلّ الكلاب أمامنا في خضوع، ثم تقدّم أحدهم وأحنى رأسه بقربنا، وضعني فراس فوق عنق الكلب وصعد هو الآخر، وانطلقت الكلاب بنا إلى المختبر...

حين وصلنا لمدخل المختبر، نزلنا من على عنق كلب الحراسة، قال فراس للكلاب التي كانت تلعقه وملأته باللعاب:

- «لا تؤذوا أي بشري»

نبحت الكلاب وركضت مبتعدة، دخلنا، وجدنا العلماء في حالة من الفوضى، يبدو أنهم كانوا تحت سيطرة رجال الشرطة العسكريّة، والآن تحرروا من قبضتهم...

شعرت أن نبضي أصبح بطيئًا والتنفس أصبح شاقًا للغاية... أسرع فراس الذي دخل إلى القاعة التي تحتوي على الكرة المتوهجة وسحابة الطاقة البنفسجية!

حين دخلنا كان هناك العديد من القادة ذوي الثلاث نجوم وهم يحملون مسدسات في أيديهم، قال أحدهم:

- «أنت أيها الوغد قمت بصنع شغب، لقد جعلنا هذا العالم يعيش في سلام، لقد أطلقنا العنان لقدرات الطبيعة ووصلنا إلى أماكن لم يصلها غيرنا، لقد حكمنا العالم، وأنت أيها اللعين تأتي لتدمر بأيام ما صنعناه في مئتي عام!»

فراس:

- «سلام! أيّ سلام ذاك وأنتم تتحكّمون بالناس بعد أن أخذتم منهم الإرادة، لقد جعلتم منهم عبيدًا»

- «أنت شاب لن تفهم هذا، سلمني النيورولينك الرئيسة الآن»

- «أنا أفهم هذا، أفهم أن تشعر بأنك الأقوى والقادر على التحكم في مصير الآخرين، لكن هذا خاطئ، خاطئ بشكل كبير، كل شخص له الحق بالعيش في حرية»

- «توقف عن قول هذه الأمور المثالية التي لا تحصل سوى بقصص الأطفال، لا تضع الوقت وأعطني النيورولينك، وإلا قتلت صديقك»

- «أنا لا أضيع بالوقت...»

شعرت أن قلبي قد توقف! ولم أعد أستطيع التنفس... وقبل أن تصبح الرؤية مشوشة رأيت العديد من الحيوانات والحشرات تقتحم الأبواب وتهجم على القادة الذين كانوا يطلقون النار عليها...

فراس:

- «هل نسيتم أنكم في مختبر أبحاث مليء بالكائنات التي تتحكمون بها! طلبت منهم أن يضعوكم في السجن حيث المكان الذي تستحقونه»

أحد القادة أطلق النار وأصاب فراس في بطنه، وانتهت المعركة بجر الحيوانات والحشرات للقادة خارج المختبر...

وأغمي عليّ...

شعرت بأن الجبال التي كانت على صدري قد انزاحت، وسمعت دقات قلبي تعود لتصنع ذلك النغم في حيوية، فتحت عيني، لقد نجح فراس، لقد قام بجري وهو يتألم من جراحه نحو السحابة، وقد وصلنا لها أخيرًا! وقبل أن نغادر رأيته يزيل النيورولينك ويحطمها في يده...

ثم حصل شيء مشابه لما حدث في عالم شجاع حين رحلت، تمزقت وتحولّت لقطع صغيرة فأصغر، ثم بدأ المشهد يتحرّك بتسارع رغم إدراكي التام لما يحدث من مشهد بعين الصقر، يقتحم الشعب المختبر ويسيطرون على المكان، ويحررون القارة، تمرّ أعوام أمامنا، أليكساندرا حكمت قارة كازينسكي، وتعاونوا مع فرسان الصحراء على تحويلها إلى أرض خضراء، ليحكمها أبناء وأحفاد أبي اليمان، ورفعت المعاهدات الظالمة على القارات الأخرى، لقد نَعِمَ العالم بالسلام، وقد عاشت أليكساندرا في سعادة إلى أن أتى أجلها وماتت في عمر كبير، تمرّ السنوات بشكل أسرع أمامنا، سلام، سعادة، ورخاء، ربما مرّت ثلاثمائة عام عاشوا فيها في وفاق، ليخرج جشع جديد من بينهم ويبدأ مع آخرين مثله في حرب السيطرة لتعود الأمور بالتدريج إلى عهد جديد من

الاستبداد والظلم! هذا يلخص دورة حياة البشر...

يقول ابن خلدون: «**الأيام الصعبة تخرج رجالًا أقوياء، الرجال الأقوياء يصنعون الرخاء والترف، الرخاء يخرج رجالًا ضعفاء، الرجال الضعفاء يصنعون أيامًا صعبة**». لكني أعلم أنه في النهاية سيخرج أناس أحرار كأليكساندرا لينقذوا البشرية من الجشعين منهم.

الفصل الثالث مملكة الدم!

لقد وصلنا إلى عالم جديد، أنا أشعر بحالٍ جيدة، لم أعد أشعر بالألم، لقد حدث ما توقعه فراس، تلفت نحوه وقلت:

- «لا أصدق بأنَّ خطتك نجحت»

- «في الواقع لم ينجحْ الأمر لكلينا»

قالها وهو يتألم، كانت الدماء تسيل من بطنه حيث أصابته رصاصة أحد القادة في العالم السابق، قلت في صدمة:

- «لمَ لم تشفَ كما حدّث معي؟»

سقط على الأرض العشبية وقال بضعف:

- «ربما لم تكّن الطاقة كافية لعلاج كلينا»

- «أنت تفقد الكثير من الدماء، يجب أن نجدّ طبيبًا لك في الحال»

نظرت حولي لأرى أين انتهى الأمر بنا، نحن على تلّ عشبي وأمامنا في الأفق توجد مدينة في وسطها قصور عملاقة ذات طابع العصور الوسطى باختلاف واحد كبير وهو شجرة عملاقة للغاية ذات أوراق حمراء موجودة في منتصف المملكة وتغطي أغصانها جزء كبير من سماء المملكة!

ألقيت نظرةً نحو جهاز بوصلة النجاة، المخرج يوجد داخل المملكة التي أمامنا وبحسب الخط الأبيض فهو أسفل الأرض قليلًا، بالإضافة لوجود مثلث أخضر فيها، أما الوقت الذي نملكه فكان ٩٩:٩٩:٩٩:٩٩، أنا لم أرَ قبل خانة الأعداد الرابعة والخامسة، ماذا يعني هذا؟! لم يكن العدّ يقلّ، أعتقد أن هذا يعني أنه لا داعي للقلق بخصوص الوقت، والطاقة الموجودة تكفي أكثر بكثير مما نحتاجه، على أيّ حال لن نستطيع قطع هذه المسافة نحو المملكة وفراس ينزف هكذا!

سمعت صوت صهيل خيل، فتلفت نحو المصدر، إنهم رجال على أحصنة يرتدون دروع الفرسان، لوّحت بيدي إليهم وأنا أنادي:

- «نحتاج إلى مساعدة، صديقي هنا ينزف بشدة»

انتبه أحد الحراس لي وأشار لزملائه ثم انطلقوا نحونا، قلت لفراس:

- «اصمد قليلًا...»

ضحك وهو يسعل ثم قال:

- «هذا مضحك، قبل دقائق كنت أعتني بك وأنت مصاب والآن يحدث العكس تمامًا!»

وقف أحد الحراس وقال بالإنجليزية:

- «من أين أتيتما؟!»

هذا السؤال الذي لا أحب أن يسألني إياه أحد، فلا يوجد إجابة صادقة من الممكن أن يفهمها السائل، قلت:

- «نحن ضائعان»

- «ضائعان؟! لمَ لا أرى ختم اختبار الدم على أيديكم؟! هل أنتما من أبناء المنبوذين؟!»

لم أعرف ماذا سأجيب، وكان الصمت جوابًا كافيًا للحارس الذي نادى على زملائه:

- «يوجد ابنا منبوذين هنا، وأحدهما مصاب، أحضروا العربة»

بعد خمس دقائق توقفت عربة خشبية أمامنا، وضعونا في الخلف، بداخلها كان هناك امرأة جميلة ترتدي رداءً أسود وقلنسوة وعلى يدها ختم تاج ملكي عليه رقم اثنين وبقربها عائلة من أب وأم وطفلة يرتدون ملابس القرويين من العصور الوسطى، كانت ذات الرداء الأسود تعتني بجراح الطفلة بينما الأم تبكي وتدعو وهي تحتضن الطفلة المصابة

بحمى، والأب كان يحاول أن يطمئنهم وهو يقول:

- «سيمر الأمر في سلام، لا تقلقي»

وقفت المرأة ذات الرداء الأسود وبيدها حقيبة أقرب إلى صندوق صغير يحمل بمقبض من الأعلى ثم جلست بقرب فراس وبدأت بفحصه، سألتني في عجب:

- «هذا الجرح غريب، لم أرَ مثله قطّ، هل سببه طعنة سيف ذو نصل ملتهب؟!»

- «شيء كهذا، من أنت؟!»

- «أنا الطبيبة نيلدا، واحدة من أطباء المملكة»

ثم نادت على السائق وأخبرته بألا يتحرك حتى تنتهي من الفحص...

نظر لي فراس نظرة متوترةً ذات معنى، أنا أستطيع أن أفهم ماذا يريد، لا يمكن أن نثق بأطباء العصور الوسطى، فسمعتهم في الجهل بالعلم والأمور الطبية يعرفها الجميع، فلم تكن عمليات الجراحة نظيفة، وكانوا يعالجون بحقن الزئبق مثلًا وبجرعات عالية تسبب تسمم وموت المرضى، ومنهم من كان يعالج بالسحر والشعوذة، فلقد كانوا يؤمنون بتلك الأمور!

قلت: «**أرجوك توقفي!**»

الطبيبة: «**إن لم أفعل شيئًا الآن فسيموت صديقك من فقدان دمائه**»

فتحت الطبيبة حقيبتها وأخرجت جهازًا أشبه بذاك الذي يقوم طبيب الأذن باستخدامه لفحص أذن المريض، أشعلت شمعة فيه فأنارت مقدمة الجهاز، ثم قالت وهي تفحص داخل الجرح:

- «لم تتضّرر أعضاؤه الداخلية، لكن هناك جسم غريب معدني دائري عالق في الداخل!»

أخرجت الطبيبة محاليل من حقيبتها، وصبّتها على الجرح، أطلق فراس صرخة مكتومة من الألم، ثم أخرجت الطبيبة ملقطًا طويلًا قد صُنع بحرفية، ودسته داخل الجرح، يدها كانت ثابتة لا تهتزّ، بعد ثوان أخرجت الطلقة ووضعتها في منديل، ثم بعد ذلك أخرجت جهازًا آخر من الحقيبة أشبه بمكبس ولها مقبض ميكانيكي، ووضعت القطعة فوق الجرح وطلبت مني أن أضغط على المقبض الميكانيكي، فعلت ذلك وبدأت تظهر خيوط وأغلقت الجرح....

كنت أنظر أنا وفراس للطبيبة في عجب، هذا الشيء بكلّ

تأكيد لم يكن في العصور الوسطى التي نعرفها!! ربما يجب أن نتوقف عن العجب، فنحن نقفز في عوالم موازية وكلّ عالم يختلف عما نعرفه، هذا العالم فيه العلم في الطب متقدّم نوعًا ما عما كان في العصور الوسطى في عالمي! لكن هل نحن في الماضي؟!

سألت نيلدا:

- «في أيّ عام نحن؟»

- «هل من الممكن أن تسألني لاحقًا ؟ أحتاج لأن أركز بالعملية»

بعد دقائق انتهت، قالت لفراس:

- «سيذوب الخيط خلال أسبوع، وسيلتئم الجرح خلال ذلك، لا تتحرّك كثيرًا وإلا تمزقت الخيوط ويعود الجرح إلى النزيف، هناك دواء من الممكن أن أعطيك إياه ليسرّع مرحلة العلاج ويسكّن الألم بسرعة، سأقوم بإعطائك إياه بعد أن نصل، هذا بالطبع إن نجحت في اختبار الدم»

ثم أخبرت نيلدا السائق أن يتحرّك، ففعل ذلك... لدي آلاف الأسئلة الآن، جلست الطبيبة بقربي وقالت:

- «لقد مرّ على ميلاد المسيح ما يقرب على الألفي ومئتي

عام، هذا جواب سؤالك السابق»

ألفان ومئتان ميلاديًا! نحن في المستقبل أيضًا، يبدو أن هذا النمط متكرر في العوالم التي زرناها، ويبدو بأن هذا المملكة هي إحدى ممالك العصور الوسطى القديمة التي انتصرت على جميع أعدائها ولن أعجب إن وجدت أن السبب هو سحابة الطاقة الموجودة داخل المملكة! فهي تعطي أفضلية غير عادلة لمن يجدها! لدي حدس بأنها موجودة بين جذوع الشجرة الحمراء العملاقة!

الأهم الآن ما هو ذلك الاختبار، قلت لها:

- «أعتذر منكِ، لكن ما اختبار الدم الذي يتحدّث عنه الجميع؟!»

- «ألا تعلم؟ هذه معلومات يعرفها الجميع! سوف يقومون بسحب عينة من دمائكم ثم يضعون بعض من مياه الفحص المقدّسة عليها لمعرفة ما هي فصيلة دمك وبالتالي سيعرفون أي طبقة تستحق أن تعيش بها»

فصيلة دم؟! إنهم يعرفون فصائل الدم! سألت الطبيبة:

- «هل من الممكن أن تشرحي لي أكثر عن علاقة فصائل الدم بالطبقة التي تستحق العيش بها؟!»

- «كيف تذهب إلى مملكة ريد تري red tree وأنت لا تعلم هذه الأمور البدائية؟!»

مملكة ريد تري! أتساءَل ما كان اسم هذه المملكة في الماضي؟

قالت:

- «هل تعرف حكاية الأصل على الأقل؟!»

هززت رأسي بأنني لا أعرف... قالت في عصبية:

- «قد يتمّ يُعدم أحدكما وأنتما لا تعرفان لماذا؟! هذه معلومة عامة يعرفها حتى الصغار ومن المفترض أن تعرفها قبل الوصول إلى المملكة.... عدا ذلك يفضل أن تعودا أدراجكما فلا مجال للتراجع إن وصلتما»

- «في جميع الأحوال يجب أن نذهب إلى المملكة، لا نمتلك الكثير من الخيارات، لهذا أرجو أن تخبرينا بحكاية الأصل»

- «حسنًا إذن، تقول الحكاية أن أبانا الأعظم آدم(16) قد خُلق ثم خلقت أمنا حواء منه، وهذا يعني أنهم يمتلكون فصيلة دمٍّ واحدة بسبب ذلك وهذه الدماء هي الدماء الملوكية التي خُلقت لتحكم الأرض، ثم من بعدهم انتشرت فصائل الاتباع، والتي خلقها الربّ لتكون خدمًا للطبقة

الحاكمة، ثم في أجيال متعاقبة بدأت فصيلة الدم الخاطئة بالظهور»

سألت في تردد:

- «هل تقصدين بفصائل الدم A وB وO ؟!»

نظرت الطبيبة في عجب وقالت:

- «من العجيب أن تكون على علم بالمسمى العلمي لفصائل الدم ولا تعرف حكاية الأصل! إن الدم الملكي هو فصيلة AB الذي نتجت منه فصائل الأتباع وهي A وB(17)، ثم نتجت فصيلة الدم الخاطئة من فصيلة دم الأتباع وهي O(18) ويرى الحاكم ذو الدماء الملكية النقية أن فصيلة O نتجت بخطأ من الطبيعة(19) وهي تَحدٌّ من انتشار الدم الملكي. إن من يمتلك دماء الملوك AB فهو محظوظ لأنه سيكون من الطبقة العليا ونسبة أولئك لا تتجاوز ٤٪، وهم يقسمون إلى قسمين، الدماء الملكية النقية... وهم من كان كلا والديه يمتلك دماءً ملوكية... أولئك يصبحون من الطبقة الحاكمة والنبلاء، أما من يمتلك دماء ملكية وأحد والديه أو كلاهما من فصيلة دماء الأتباع فينتهي الأمر بهم أطباء للمملكة أو زوجات للطبقة الحاكمة إن أراد أحد أصحاب الدماء الملكية

النقية ذلك ولا يحقّ لأحد الاعتراض على قراراتهم»

- «أهذا يعني أنك من تلك الطبقة؟!»

رفعت يدها وأظهرت الختم ذا التاج الملكي عليه رقم اثنين في المنتصف:

- «أجل، أنا وأختي التوأم لدينا هذا الختم الملكي على أيدينا، ورقم ٢ على التاج يعني أن والدينا كانا من الأتباع»

- «ماذا عن الفصائل الأخرى؟»

- «فصيلة الأتباع الأولى وهي A يصبح الرجال فيها من الحراس أما الإناث فيصبحون خدمًا في القصر، وفصيلة الأتباع الثانية B هم عامة الشعب ويصبحون عمالًا وفلاحين وغيرها من مهن العامة، أما الفصيلة الخاطئة O فهم التعساء الذين يُقبض عليهم ويعدموا كيلا ينشروا هذه الفصيلة»

- «لماذا يأتي أيّ شخص لمملكة ريد تري؟! إن قوانينها قاسية»

- «تستطيع الهرب الآن أنت ورفيقك، لن يطاردك الحراس حتى، في الحقيقة هناك الكثير ممن يهربون بعد أن يأتي لهم طفل خوفًا عليه، أو بسبب زواج غير مسموح بين الفصائل، ومن ثمّ بعد أجيال يعود الأبناء وقد أصبحوا أباءً وأمهات

وهمّ من يطلق عليهم بأبناء المنبوذين، كما ترى فهذه الأسرة هنا هم من أبناء المنبوذين، والشيء الذي قد يدفعك لهذه المخاطرة هي أن مملكتنا تتميّز في العلاج والطب، ولا أمل لمريض بالشفاء إلا في المملكة، لكن إن دخلت المملكة فلا مجال للتراجع»

قال فراس الذي كان يصغي لكل ما قالته:

- «مياه الفحص المقدّسة التي ذكرتها، أهي تستخلص من دماء الأتباع(20)»

- «أنتما غريبان، تعرفان أمورًا طبية لا يعرفها سوى الأطباء، ورغم ذلك لا تعرفان الأشياء الأساسيّة!! إن ما قلته صحيح، تُستخلص المياه المقدّسة من دماء الأتباع»

قلت:

- «لمَ كلّ هذه التعقيدات؟!»

- «كلّ هذا لحماية سلالة الدمّ الملكي، ولهذا لدينا قوانين في المملكة، أولًا يمنع الزواج من الطبقة الحاكمة إلا من نفسها. ثانيًا: يمنع زواج الطبقة الأتباع الأولى من بعضهم البعض وكذلك طبقة الأتباع الثانية، فقط يسمح للزواج من طبقة الأتباع الأولى مع طبقة الأتباع الثانية، لزيادة احتمالية

ولادة أبناء بالدم الملكي. ثالثًا: يمنع الزواج أيّ فصيلة مع فصيلة الدم الخاطئ O ومن يخالف ذلك يطرد من المملكة. رابعًا: يُعدم أصحاب فصيلة الدم الخاطئ في أقرب مراسم زفاف لأحد الطبقة الحاكمة وتُسقى الشجرة الحمراء بدمائهم! خامسًا: الملك هو أقدم إنسان في المملكة، الآمر الناهي وأوامره هي أوامر مطلقة، إن خيانة الملك وأوامره يقابلها مصير أسوأ من الموت!»

صدمت مما قاله الطبيبة، لقد تطّور الطب في هذا العالم لكن الجهل تطّور كذلك، واختلط العلم مع الجهل ليكون نوعًا مختلفًا ومتطورًا من الضلالات المشوهة!! وما المقصود بمصير أسوأ من الموت؟ هذه ثاني مرة أسمع هذا العبارة، أتذكر أن إكزافير قد قالها لنا حين أخبرنا بقواعد البقاء على سفينة سيلناير(21)، هل بالفعل هناك ما هو أسوأ من الموت؟!

- «ماذا تقصدين بأن الملك هو أقدم إنسان في المملكة؟»

- «إن عمره تجاوز الأربعمائة عام، فقط الملك والقليل من النبلاء من اختيار الملك يحق لهم استخدام إكسير الحياة»

أعتقد أن إكسير الحياة هو مستخلص من سحابة الطاقة كما جرى في العالم السابق... سعلت الفتاة الصغيرة التي

كانت والدتها تحتضنها، قالت نيلدا:

- «أعتذر منكما يا سادة فيجب أن أذهب لرعاية الفتاة الصغيرة، لقد قطعت أسرتها طريقًا طويلًا لتنال طفلتهم العلاج والدواء»

أخذت نيلدا حقيبتها وجلست بقرب الفتاة وبدأت في وضع ضمادات لها، همس لي فراس الذي كان مستلقيًا في العربة ويستمع لكامل الحدّيث:

- «هل تعرف ما فصيلة دمك يا مازن؟!»

- «لا، لا أذكر هذا أيضًا»

- «اسمعني جيدًا، فصيلة دمي أنا هي A»

- «كيف تعلم هذا؟!»

- «هذا لا يهم الآن، المهم أنني أعرف ما مصيري، أما أنت فلا، و...»

فجأة توقفت العربة، قال الطبيب:

- «لقد وصلنا»

قادنا الحراس إلى غرفة في سور المملكة الخارجي، أنه أقرب لسجن كبير وفيه مقاعد، أغلق الحراس باب الدخول

الرئيسي علينا ووقف اثنان منهم أمام الباب ليراقبونا، الآن لا مجال للتراجع بالفعل! جلسنا ثم دخلت طبيبة (غير نيلدا) من باب آخر... أخرجت الطبيبة ورقة وطلبت من الفتاة أن تخبرها باسمها، دوّنت الطبيبة الاسم ووصف للفتاة على الورقة ثم أمسكت الطبيبة بيد الطفلة وقالت:

- «لا تخافي، سأجرح يدك قليلًا وأخذ عينة دماء»

قامت الطبيبة بجرج أصبع الفتاة ووضعت بعضًا من قطرات الدم داخل قارورة زجاجية صغيرة وأغلقتها بسدادة من الفلين، ثمّ ثبتت ورقة المعلومات بدبوس على سدادة الفلين...

كررت الطبيبة العملية مع الأب والأم، وبعد أن انتهت القوارير الصغيرة وغادرت لتفحص الدماء... بعد دقائق دخلت هي وحارس آخر غير الذي يراقبنا، كان الحارس الجديد يمسك بيده كيسًا جلديًا كبيرًا وقيودًا، ووضع قيد في يدّ الأب والأم، وقال للأم:

- «أنت من أصحاب الدم الخاطئ، لهذا بحسب قانون الملك يحكم عليكِ بالإعدام في مراسم زفاف الماركيز ريتشارد بعد ثلاثة أيام»

ثم أخرج من الكيس ختمًا وختم على يدها برمز جمجمة!

ثم قال للأب:

- «دماؤك هي دماء الأتباع الثانية، لكنك خالفت أحد قوانيننا بالزواج من الدم الخاطئ، لهذا بحسب قانون الملك ستطرد من المملكة»

وقام بختم رمز مطرقة ومذراة(22) للدلالة على عامة الشعب ثم ختم X للدلالة على الطرد...

قال الأب وهو يرتجف:

- «ماذا عن ابنتي؟!»

- «لقد ورثت دماءك، إنها دماء الأتباع الثانية، ستنقل للعيش مع عائلة من عامة الشعب بعد أن ينتهي الأطباء من علاجها»

وختم على يد الفتاة برمز المطرقة والمذراة...

قاد الحارس الأب والأم للخارج وأنا أرى على وجهيهما ابتسامة حزينة رافقتها دموع خيبة أمل، إنهما سعيدان بنجاة ابنتهما لكن لم يتصورا أن هذه هي لحظة الفراق بينهم...

جاء دورنا، جَرحت الطبيبة يد فراس، وأخذت العينة منه

ثم طلبت منه بعد ذلك اسمه، وسجلت وصفًا لشكله، ثم جاء دوري...

بعد أن انتهت الطبيبة من كتب الوصف وأخذ العينة وقبل أن تثبت الدبوس، وقف فراس وسقطت حقيبة منه بالقرب من الطبيبة، قال معتذرًا:

- «أنا آسف، لم أستطع الجلوس أكثر بسبب الألم، وحين وقفت لم أستطع التوازن، أشعر بالألم الشديد من إصابتي، أعتذر منك، هل تستطيعن إعطائي الحقيبة»

كان هناك دخان يتصاعد من حقيبة فراس، لقد أشعل ملابسه المتبقية داخل الحقيبة قبل أن يلقي بها، قامت الطبيبة بالإسراع وسكب مياهًا على الحقيبة، في الثواني القليلة التي قامت هي بذلك وفي اللحظة التي تشتت نظر الحراس نحو الحقيبة، استطاع فراس بحركة سريعة كتلك التي يقوم بها لاعبو الخفة أن يعكس قارورتي الدمّ دون أن يصدر أيّ صوّت والورقة التي على عبوته، أعطت الطبيبة الحقيبة للحارس وقالت بغضب لفراس:

- «أنا لا أعلم ما في حقيبتك لكنها ستصادر الحقيبة بما فيها، اجلس الآن وكن هادئًا إلى أن ينتهي الفحص»

أخذت الطبيبة العينات وغادرت، همست لفراس بعد أن ابتعدت الطبيبة:

- «لما فعلت هذا؟!»

- «أنا أعلم أن دمائي هي A، وأنت لا تعلم، لهذا لدينا أربع احتمالات لك، الاحتمال الأول: إن كنت من فصيلة O فقد حكم عليك بالإعدام، وأنا لن أستطيع مساعدتك بشيء لأنني مصاب وغير قادر على الحركة، ولهذا إن سُجنت بدلًا منك فأنت ستكون قادرًا على البحث عن المخرج ثم إخراجي للهروب...

الاحتمال الثاني أن تكون AB وفي هذه الحالة لو ذهبت أنت للطبقة الحاكمة فلن تستطيع التنقل في مناطق العامّة من الشعب، ولهذا إن ذهبت بدلًا منك فسأحظى برعاية صحية ممتازة وأنت ستتنقل بحرية...

الاحتمال الثالث مشابه للسابق وهو أن تكون B وفي هذه الحالة ستصبح من عامة الشعب ولن تستطيع التنقل في مناطق الطبقة الحاكمة، ولهذا إن ذهبت بدلًا منك فسأحظى براحة في أحد منازل العوام، في النهاية أرى أن الحرس يتمتعون بحرية الحركة بين كلّ الطبقات الأخرى.

والاحتمال الأخير أن تكون من فصيلة الدم A وهكذا سنبقى مع بعضنا البعض»

- «هذه مخاطرة كبيرة يا فراس»

- «لا أرى وسيلة أخرى للنجاة بهذه الظروف، إن كنت تملك خطة أفضل فأخبرني بها»

حاولت أن أخرج بخطة لكني فشلت، ربما ننتظر شفاء فراس، إنه يحتاج لأسبوع على الأقل، لكن ليس لدينا سوى ثلاثة أيام لمراسم زفاف أحد النبلاء وحينئذ سيعدم من في السجن، وهذا يعني أن أمل الهروب هذه المرة يقع على عاتقي، دخلت بعد دقائق الطبيبة برفقة الحارس ذي كيس الأختام، تقدّم الحارس نحوي وقام بختم يدي برمز حصان:

- «أنت من أصحاب دماء الأتباع الأوائل، بحسب قانون الملك سوف تنضم للحرس الملكي»

ثم تقدّم نحو فراس وختم على يده برمز الجمجمة:

- «أنت من أصحاب الدماء الخاطئة، لهذا بحسب قانون الملك يحكم عليك بالإعدام بعد ثلاثة أيام، في مراسم زفاف الماركيز ريتشارد من الكونتيسة ريمونا»

ووضع القيد على يده...

إذن أنا من فصيلة الدم O! وفراس سيعدم عوضًا عني، أنا لا أملك الكثير من الوقت... فقط ثلاثة أيام!

افترقنا عن بعضنا، وقادني أحد الحراس عبر ممرات داخل السور العريض، هناك غرف على كلا الجانبين من الممر، وصلنا إلى غرفة واسعة مليئة بالأسلحة الحديدة المختلفة يتدرّب فيها بعض الحراس على المبارزة، وطلب مني الحارس أن أرتدي زي الحراس (من دون الدرع المعدني)...

بعد أن انتهيت، تقدّم قائد الحرس، كان مهيبًا بحقّ، رجل تبدو حكمة الحروب على وجهه المليء بالندبات، قال:

- «يجب أن تعلم أن منصب الحرس هو منصب مهم وحساس، نحن نأتي في الأهمية بعد الملك، لهذا أيّ خيانة للملك سيقابلها مصير أسوأ من الموت، بالمقابل إن كنت مخلصًا للملك فستُرقى»

أتبَعَ ذلك بعضًا من القوانين التي تخصّ الحراس، إذن أنا أؤهل هنا للعمل مع الحراس، أنا لا أملك الكثير من الوقت لهذه الأمور، لكن لا أستطيع الحركة بحرية الآن حتى أنهي هذا... في النهاية قال قائد الحرس:

- «الآن ستُدرب على أساسيات المبارزة بالسيف، سيكون

الفارس هيرفيس هو المسؤول عنك»

نادى القائد على هيرفيس ذاك، فدخل بعد دقائق رجل ضخم الجسد مفتول العضلات بوجه مخيف الملامح، وقال له القائد:

- «متدرّب جديد يا هيرفيس، حاول ألا تقتل متدرّبك هذه المرة»

ماذا يقصد القائد بهذا؟! هل هيرفيس هذا قتل متدرّبه السابق؟!

أشار هيرفيس لي بأن أختار سلاحًا من تلك المعلّقة على الحائط، أخذت سيفًا واستدرت لأريه اختياري، لكني تفاجأت بالأخ يهجم علي وقد بدأ بالمبارزة، كان هيرفيس جادًا وكاد أن يقطع ذراعي، استطعت الهرب لكن انتهى الأمر بي بجرح غائر، قال بصوته الأجش:

- «يجب أن تتوقع الهجوم المفاجئ أيها المبتدئ»

أكملَ المبارزة التي لم تكن عادلة أبدًا نظرًا لفرق الحجم والخبرة، هذه أول مرة أمسك بها سيفًا حقيقيًا!

- «أمسك السيف كأنه جزء من يدك، لا تجعله يرتعش هكذا!»

ثم ضربة سيف منه وجرح آخر لي، قال:

- «لا تهرب من ضربات خصمك! يجب أن تبعدها بسيفك!»

سقطت على الأرض وانتهت المبارزة بفوز هيرفيس وأنا ملقى على الأرض أتألم من جراحي، نادى هيرفيس:

- «استدعوا إدلين طبيبة الحرس، إنه بحاجة إلى معالجة»

فأتت الطبيبة التي تدعى إدلين وقامت بخياطة الجرح كما قامت نيلدا بخياطة جرح فراس... تبدو الطبيبة مألوفة لدي، هل رأيتها قبل هذه المرة؟!

لكن ليس هذا ما أثار استغرابي، لا أعلم إن كنت أتخيل ما أراه، لقد كان هيرفيس ينظر نحو الطبيبة بنظرات مثقلة بالحب والغرام وملامح البلاهة قد ظهرت على وجهه... لقد تحوّل الوحش المصروع إلى حملٍ رضيع! هل الأخ هنا قام بتمزيقي حتى تأتي الطبيبة إدلين وينظر لها بنظرات الحب المحرّم هنا؟! لا أعتقد أنها تبادله هذا الشعور...

بعد أن أنهت الطبيبة خياطة الجروح وضعت عليهم محلولًا جعل الألم يتلاشى منها!

بعد أن غادرت الطبيبة، قال لي هيرفيس بضحكة بلهاء:

- «سوف نتبارز يوميًا هنا، إنه جزء من التدريب»

الأخ يريد أن يحظى بقصة عشق ممنوع على حسابي الخاص! ولن يتردد في تمزيق جسدي كسيخ شاورما لتأتي الطبيبة ويراها لدقائق!! قادني هيرفيس لتناول الغداء، وجبة من لحم الضأن، بعد أن انتهينا قال:

- «رافقني أيها المبتدئ، سأخذك في جولة في أرجاء المملكة»

- «سيكون هذا جيدًا»

نزلنا إلى إصطبل الخيول وامتطى كل واحد منا خيلًا... وانطلقنا نجوب في أنحاء المدينة...

دعني أصف لك المدينة، الشجرة العملاقة ذات الأوراق الحمراء تبدو أخاذة عن قرب، السور الذي يحيط بالمملكة عريض كما قلت وفيه مساكن للحرس وأماكن تدريبهم وإصطبل الخيول، وهناك ساحة ضخمة تمتد من الأسوار إلى المنطقة القريبة من جذع الشجرة العملاقة، تتوزّع فيها منازل بسيطة لعامّة الشعب وحقول ومتاجر، الرائحة ليست جيدة في هذا المكان، ربما بسبب وجود مزارع حيوانات في أماكن متفرقة، حول جذع الشجرة توجد قلاع الطبقة

الحاكمة وتوجد قلعة ضخمة هي القصر الملكي، أما في المنطقة البعيدة جدًا عن المدخل في السور يقع السجن...

كنا نسير في منطقة عامة الشعب، قال هيرفيس بصوته الأجش:

إصطبل «نحن نقوم بالحفاظ على أمن الشعب ونمنع الشغب ونوقف أيّ محاولة قد تطال الملك بأذى»

هنا رأيت الفتاة الصغيرة التي كانت في العربة معي سابقًا، كانت في حالة صحيّة أفضل، لكنها كانت تبكي في منتصف الطريق، حين اقتربت سألتها:

- «هل أنت بخير؟»

- «أريد أمي، لا أريد أن أكون هنا، أريد أمي فقط»

احتضنتها وأنا لا أعلم ما أقول، قال هيرفيس:

- «أنت، لا تحتك كثيرًا بعامة الشعب»

رحلنا مبتعدين، بعد أيام ستعدم والدتها، وربما أمام عيني الطفلة، هذا قاسٍ للغاية...

بينما نحن نسير بالخيل وسط العامة بالقرب من قلاع الطبقة الحاكمة، رأينا تجمهّر للناس أمام شرفة القصر الملكي

العملاق، قال هيرفيس:

- «يبدو أن هناك إعلانًا من القصر الملكي، تعال لنرَ»

كان العامة يبتعدون من أمامنا، ووصلنا إلى مكان مناسب للرؤية، على الشرفة وقف رجل قبيح الوجه مليء بالتجاعيد وبأنف كبيرة مليئة بالحبوب، قال بصوت أخنف:

- «يسرّني أن أعلن أنّ مراسم الزفاف من الكونتيسة ريمونا سوف تتمّ غدًا في مثل هذا الوقت بدلًا من بعد ثلاثة أيام في يوم عيد ميلادي المائة والأربعين، لقد تكلّمت مع الملك ووافق على طلبي بتسريع الأمور، أنا لا أستطيع أن انتظر أن أحظى بزوجتي السابعة، هناك مقولة تقول بأن المرء لن يجد الحب إلا بعد زواجه السابع»

صرخ أحد العامّة:

- «أنت اخترعت هذا المثل أيها الماركيز!»

ضحك الماركيز ضحكةً مقيتة ثم قال:

- «أجل، أنا اخترعته لكني أعلم أنني وقعت بالحب هذه المرة فقد وجدت أجمل ملاكًا لتكون زوجتي»

قالها وهو يشير للكونتيسة ريمونا بالتقدّم، وهنا حين

رأيتها قلت في صدمة:

- «ريم!»

أجل الكونتيسة ريمونا هي ريم! رغم أن تسريحة الشعر التي تميّز الكونتيسات وكأن شيئًا انفجر في وجهها، وقد فشل المكياج في إخفاء دموعها الجافة!

إذن هي من تمثل المثلث الأخضر في هذا العالم...

السيئ الآن أنها ستتزوج من ذلك القبيح رغمًا عنها في الغد! والأمر الأسوأ يعني أن إعدام فراس قد تقدّم وقته للغد أيضًا!

قال هيرفيس:

- «هيا بنا نكمل الجولة»

- «آه... حسنًا»

بعد أن انتهينا من الجولة وقد حلّ الليل عدنا إلى منطقة سكن الحراس، قادني إلى إحدى الغرف وقال:

- «هذه لك، ستنام هنا، هل لديك أيّة أسئلة؟»

- «أجل، هل أستطيع الخروج والتجوّل؟»

- «بالطبع، أنت أحد الحراس الآن وتستطيع الذهاب بحريّة إلى أيّ مكان في المملكة ما عدا قصر الملك الكبير والسجن، فقط أولئك الذين يحملون لقب فارس من الملك يستطيعون الذهاب هناك»

- «أشكرك يا هيرفيس»

- «لا تنسَ أن تأتي للتدريب على المبارزة في الغد، أنا متشوق لهذا»

- «بالطبع أنت كذلك!»

ثم تركني وغادر... الآن وبعد أن امتلكت الحريّة للحركة الشيء الوحيد الذي خطر لي هو أن أتوجه نحو منطقة الطبقة الحاكمة وأبحث في أيّة قلعة توجد فيها ريم، أريد أن أخبرها بأننا موجودان لزرع الأمل لديها ولأنها في هذا العالم من قبل أن نصل له فربما أجد معلومات لديها قد تساعدنا في وضع خطة للهروب.

خرجت من سكن الحراس واستعرت خيلًا من الإصطبل، ثم انطلقت نحو قلاع أصحاب الدماء الملكية...

المدينة مضاءة بالمشاعل، والحانات مليئة بالعامّة الذين يحتفلون من بعد يوم عمل طويل...

وصلت إلى منطقة القلاع الملكية، لكن لا أعلم في أيّة قلعة قد أجدها!

كنت أدور حول المكان، لن أستطيع أن أجدها هكذا، ربما هذه خطة سيئة، وقبل أن أتراجع رأيت ثلاث طبيبات وسط الظلام يسيرن نحو إحدى القلاع، توجهت نحوهن وسألت في تردد:

- «هل من الممكن أن تخبرنني أين أجد ريم... الأميرة ريمونا لغايات ملكية؟»

قالت إحداهن:

- «غايات ملكية؟! ماذا يعني هذا؟!»

تصببت عرقًا بينما نظرت أخرى لي في شكّ، ثم قالت:

- «ألست أنت الرجل كثير الأسئلة من أبناء المنبوذين الذي كان معي في العربة؟»

دققت النظر ثم أدركت أنها نيلدا:

- «الطبيبة نيلدا؟! أجل، أنا من كان معك»

- «لقد سمعت أن رفيقك سيعدم قريبًا، أنا آسفة من أجله»

ربما تستطيع نيلدا مساعدتي، في البداية هناك دواء

فراس...

- «بمناسبة ذلك، هل تستطيعن إعطائي دواءه الذي قلتِ أنه سوف يساعده على تسريع الشفاء وتسكين الألم له»

- «لا أرى فائدة لذلك، صديقك سيموت على أيّ حال وستكون مضيعة للدواء»

- «أرجوكِ إنه يتألم، على الأقل هذه أمنيته الأخيرة»

أشارت لزميلاتها بأن يسبقنها ثم قالت بصوت منخفض بعد أن ابتعدن:

- «حسنًا، أختي التؤام إدلين تعمل كطبيبة للحراس، سوف أرسل معها الدواء لك في الصباح»

- «الطبيبة إدلين هي أختك؟»

لهذا شعرت أنها مألوفة لي!

- «أجل، لقد قامت والدتنا بإعطائها عكس اسمي، والعجيب أنها خرجت خجولًا للغاية ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها، على عكسي تمامًا، لهذا هناك خدمة أريدك أن تقوم لي بها مقابل الدواء»

- «وما هي هذه الخدمة»

- «أخشى أنّ إدلين في خطر ما وأريد أن تبقي عينك عليها، إنها تتصرّف بغرابة مؤخرًا ولا أعلم ما مشكلتها»

مشكلتها سيدتي أن الوحش المسؤول عن تدريبي ينظر لها نظرت حب، وربما هي خائفة منه... لكن لن أستطيع أن أخبركِ بهذا الآن حتى لا يقتلني هيرفيس، قلت لها:

- «حسنًا، لا بأس بذلك»

- «اتفقنا إذن»

- «أمر آخر، هل تعرفين أين هي قلعة الأميرة ريمونا»

- «أجل إنها على بعد خمس قلاع من هنا، إن غرفة الأميرة ريمونا في الطابق العلوي في الجناح الغربي، ستعرفها فور وصولك»

قالتها وهي تبتسم...

شكرتها وغادرت إلى القلعة المنشودة، دخلتها وصعدت إلى الطابق العلوي، كان صوت الصراخ والبكاء ينطلق من غرفة ريم التي كانت تقول بالعربية:

- «لا أريد، لا أريد أن أتزوج الماركيز الأحمق القبيح»

هذا ما كانت تقصده نيلدا بأنني سأعرف الغرفة فور

وصولي!

كان هناك حارسٌ يقف على الباب، حين رآني ركض نحوي بوجهٍ محمّر، اللعنة، هل أدرك أنني لا يجب أن أكون موجودًا هنا، أمسك يدي وقال:

- «شكرًا لله أنك أتيت، أخيرًا أرسل القائد بديلًا عني، لم أعد أتحمّل بكاءها وصراخها ومحاولاتها التي لم تتوقف للهرب، لقد كادت أن تقفز من الشرفة، وحاولت طعني بسكين الطعام حتى تهرب، وكلما أعدتها تركلني في جميع أنحاء جسدي، حتى أنها قامت بعضّ ذراعي ورأسي! لقد كدت أجن منها»

دفعني الحارس نحو الباب وغادر مسرعًا، قرعت الباب، قالت بإنجليزية:

- «لا أريد أن أقابل أحدًا، اتركوني وحدي»

قرعت الباب مرة أخرى، أيتها الحمقاء افتحي الباب، لا يمكن أن أرفع صوتي حتى لا أجذب انتباه أحد، شتمتني بالعربية:

- «يا غبي، يا حقير ألا تفهم متى يجب أن ترحل»

همست بالعربية:

- «افتحي الباب وتوقفي عن شتمي»

هنا فتحت الباب، وقالت وهي مصدومة:

- «منذ متى تتحدّث العربية أيها الحارس؟!»

دخلت وقلت:

- «إنه أنا يا ريم»

- «مازن!!»

ثم بدأت في البكاء كالأطفال:

- «لا أصدق بأنك أتيت من أجلي»

- «هناك أيضًا فراس، لكنه في السجن»

- «فراس! يجب أن تخرجه بسرعة، سيقومون بإعدام من في السجن في مراسم الزفاف غدًا»

- «لن يحدث أيّ زفاف وسوف نهرب من هذا العالم قبل ذلك»

- «أرجو هذا، لكن ماذا تقصد بأن نهرب من هذا العالم؟!»

- «يوجد لدي جهاز من إكزافير سيساعدنا على الانتقال من هذا العالم إلى عالم آخر، هكذا وصلت إلى فراس ثم وصلنا

لكِ»

ازداد بكاؤها وهي تقول:

- «لقد اعتقدت أن حياتي قد انتهت هنا، دعنا نهرب من هذا المكان اللعين»

- «أحتاج منكِ أن تهدئي قليلًا وتخبريني بما جرى معك منذ أن وصلتِ إلى هذا العالم، أيّة معلومة قد تفيدنا في عملية الهروب»

مسحت دموعها وتمالكت نفسها ثم قالت:

- «حسنًا، حين وصلت إلى هنا قبل أربعة أيام، وجدت نفسي أمام المملكة، حدث كل شيء بسرعة، أخذوني نحو غرفة كالقفص عند المدخل، قاموا بأخذ عينة من دمائي، ثم خُتمت يدي بصورة تاج، بعد ذلك وجدتهم يقودونني نحو أحد القصور وهناك قامت سيدة القصر بتدريبي بقسوة لتعلمّ أصول التعامل مع النبلاء، في البداية قالت بأسلوب وقح وقاسٍ: «لا يكن أن تحظى نبيلة باسم قصير غريب كاسمك، من الآن وصاعدًا اسمك ريمونا»

كلّ شيء كنت أقوم به كان سيئًا بنظرها وأنال التوبيخ والضرب على يديّ بعصا منها، لا يمكن أن أمشي هكذا، لا

يمكن أن أتحدّث هكذا، لا يمكن أن أرفع رأسي هكذا، لا يمكن أن أتنفس هكذا!

حتى «شعرك قصير لا يصلح لكونتيسة نبيلة، ضعي هذا الشعر المستعار لتخفي العار الذي أنت به إلى أن ينمو شعرك» كلّ حركة أقوم بها كانت حركة خاطئة وأنال عليها عقابًا، حاولت الهرب في أول ليلة لي أكثر من مرة، لكن المسافة الطويلة من القصر إلى المخرج جعل أمر إلقاء القبض علي أمرًا هينًا عليهم، وحتى حين وصلت للبوابة وجدت أنهم يحرسونها بشكل مشدد، في النهاية وضعوا حارسًا على الباب ليمنع مغادرتي!

في اليوم التالي جاءت امرأة طويلة ومخيفة الوجه ترتدي رداءً أسود وقلنسوة، عرفت أنها الطبيبة الكبرى في المملكة وعمرها يتجاوز الثلاثمائة عام، لم أصدق أن أعمار البعض هنا قد تمتدّ لهذه الفترة! لكن بعد ما شاهدته لم يعدّ أيّ شيء صعب التصديق...

أعطتني رداءً أسود وطلبت منى أن أرتديه واتبعها، فعلت ذلك لعليّ أجد وسيلة للهرب، قامت بأخذي نحو القصر العملاق الذي أخبرتني أنه القصر الملكي، كان يقف على باب القصر فرسان مخيفو المنظر ضخام الحجم، فتحوا الباب

للطبيبة الكبرى ودخلنا إلى ممر يقود لباب، بعد أن دخلنا من الباب الثاني وصلنا لدهاليز أسفل المملكة، كانت جذور الأشجار واضحة على الجدران والغريب أنها كانت تنير وتنبض باللون الأحمر.

وصلنا إلى قاعة ضخمة جذوع الشجرة تحيط بجدرانها، في المنتصف كرة بيضاء متوهّجة تطفو في الهواء وحولها بخار أو سحابة بنفسجية ويقطر من السقف عليها قطرات من الدمّ، فتقوم الكرة بامتصاص الدمّ، حول تلك الكرة ذات السحابة هناك العديد من الطاولات المتفرّقة ويوجد فوقها أجساد بشرية مقيّدة وقد وضعت قطع قماش في أفواههم، وهناك العديد من الأشخاص الذين يرتدون رداءً أسود يقفون فوق رؤوس أولئك المقيدين، منهم من يقوم بحقن أحد الأجساد بمحلول ما فيرتجف الجسد كأن كهرباء قد مسّته وهو يعض على قطعة القماش متألمًا، ومنهم من يُشرّح بعض تلك الأجساد، نظرت نحو الجسد القريب مني، لقد بان قلبه أسفل الجلد وكان ينبض! سقطت على الأرض من الخوف، إنهم يجرون تجارب طبية قاسية على أشخاص أحياء!

قالت الطبيبة الكبرى لي: «إنهم بخير، معجزة الملك تحميهم» كانت تقصد بذلك تلك الكرة البيضاء...

ثم أشارت إلى رجل على الطاولة كانوا يقومون بخياطته جراحه بعد أن مزقوا جزءًا كبيرًا منه، بعد أن انتهوا من خياطته، بدأت جروحه بالانغلاق ببطء، وفكّ الحراس قيد الرجل وقاموا بجرّه إلى غرفة أخرى بينما الرجل منهار ويبكي ويردّد -أرجوكم اقتلوني-!»

قلت:

- «هل تتذكرين الطريق داخل الدهاليز للوصول إلى ذلك المكان؟»

- «أعتقد هذا، لكن لماذا؟»

- «تلك الكرة والسحابة التي تخرج منها هي مصدر الطاقة الذي نحتاجه للانتقال من هذا العالم»

- «هذا يعني أننا لن نهرب للخارج، بل إلى الداخل! قد يكون الأمر أقل صعوبة، لكن هناك فرسان يحرسون القصر»

- «سنفكر في الأمر، أرجو أن تكملي حكايتك»

- «كانت تلك الغرفة هي مدرسة الطّب في المملكة، ومن تُجرى عليهم التجارب هم أشخاص قاموا بخيانة أوامر الملك، لقد دخلت الغرفة التي تحتوي أولئك الأشخاص، كانوا يرجونني بأن أقتلهم!»

- «لقد أخبرني أحدهم بأن الخيانة تقابل بمصير أسوأ من الموت، هذا بالفعل فظيع»

- «أكثر مما تتصوّر، لقد كانت التجارب مؤلمة، من تجارب صغيرة كحقنهم بمواد شديدة السمية كمادة حامض الكبريتيك أو حامض النيتريك أو الزرنيخ ليروا مدى تأثيرها على الإنسان ويدونون ذلك في أثناء تعذب الشخص وحدوث حروق وتآكل في الأنسجة لديه، أو تجارب معقدّة كدراسة الدماغ وتأثير كلّ جزء فيه، أجل، لقد كان هناك أشخاص قد فتحت جماجمهم أمامي وتلوعب بأجزاء الدماغ ورؤية مدى تأثير ذلك على الشخص الذي تُجرى عليه التجربة وهو مستيقظ من دون تخديرا! وبعد الانتهاء وبالتدريج البطيء يشفى الشخص لكن آثار الألم النفسي لا تذهب منه!»

- «هكذا تطّوروا بسرعة في الطب، عن طريق المحاولة والخطأ بتجارب غير أخلاقية، مهما أخطأوا فلا عواقب لتلك الأخطاء مع وجود مصدر الطاقة ذاك، بكلّ بساطة يستطيعون أن يتابعوا التجارب على الأشخاص نفسهم ليروا النتائج المختلفة في كلّ مرة!»

- «أعتقد هذا»

- «ماذا جرى لك بعد ذلك؟»

- «أعادوني إلى الغرفة، وقامت سيدة القصر بإعطائي المزيد من دروس البريستيج بقسوة، ثم في مساء ذلك اليوم أخذتني إلى حفل راقص، وهنا جاء الماركيز وقال: «أنا لم أرَ ملاكًا بمثل جمالك، أريدك زوجةً لي»

قلت له في اشمئزاز «أنا لا أريد» لكن سيدة القصر أخذتني إلى غرفة ووجهها محمّر وبدأت بضربي وهي تردّد بأن تصرفي وقح وكلّ فتاة في القصر تتمنى أن تحظى بالزواج من الماركيز، وبعد أن اعتذرت سيدة القصر للماركيز على تصرفي، أخبرتني أنه من حسن حظي أنه لا زال يريد الزواج مني ولم يعتبر ما فعلته خيانة لأوامر الملك، تحدد زواجي بعد خمسة أيام، لكن البارحة أخذني الحراس إلى الماركيز عند القصر الملكي، وأخذني الماركيز إلى غرفة العرش، كان الملك مهيب المنظر يجلس على عرشه وقد وضع رأسه متكأً على يده، ونظرة صارمة مخيفة يحدق بها نحوي، أكاد أقسم بأن عينيه كانتا مضيئتين، قال لي الماركيز: لا تتكلمي، لا يسمح بالكلام مع الملك سوى الطبقة العليا من النبلاء، تقدّم الماركيز وهمس شيئًا في أذن الملك، فهزّ الملك رأسه بالموافقة، وقال الماركيز في فرح أن الملك وافق على

أن يجعل وقت الزفاف في وقت أقرب، وأصبح في الغد كما تعرف! لقد وضعوني بين خيارين إما أن أقبل الزواج وأتصرّف كما يريدون وإمّا أن أتهم بخيانة أوامر الملك وأوضع مع أولئك الأشخاص الذين يُستخدمون كفئران تجارب»

- «حسنًا يا ريم، أحتاج منك أن تنتظري للغد، لقد عرفنا موقع المخرج، لكن لا زلنا لا نمتلك خطة للهروب، إن خرجنا الآن فسوف يلقي الفرسان القبض علينا وقد يتهم أحدنا بخيانة الملك وإرساله إلى تلك التجارب المريضة، فراس أفضل مني في التخطيط لأمور الهرب، يجب أن أخبره بما عرفت، وأيضًا يجب أن أحضر له دواءً لأنه مصاب، فلن يستطيع الهرب معنا من دون ذلك الدواء»

- «أنا أثق بك يا مازن، منذُ أن وصلنا إلى بُعد نسيج الزمن وأنا أثق بك، أنت تعلم هذا»

- «أرجو أن ينجح الأمر، يجب أن أغادر قبل أن يأتي أحد إلى هنا»

- «سأكون في انتظارك، تذكّر أن المراسم ستبدأ في وقت العصر»

تسللت للخارج، وعدت إلى سكن الحرس، في صباح الغدّ سأجدّ طريقة للوصول إلى فراس! الآن سأرتاح قليلًا وأرتب أفكاري... في أثناء بحثي عن غرفتي التي أضعت موقعها، وجدت غرفة تحتوي على أشياء مختلفة، ما جذب انتباهي هي حقيبة مألوفة إليّ، أمسكتها ونظرت بداخلها، هناك ملابس محترقة وقداحة، إنها حقيبة فراس، أخذتها وأكملت البحث عن غرفتي، وبعد دقائق وجدت الغرفة أخيرًا...

خبأت الحقيبة أسفل السرير، ثمّ استلقيت وأخرجت جهاز بوصلة النجاة، العدّ التنازلي في بوصلة النجاة لا زال يشير إلى الرقم الضخم ولم يتغيّر، ما الذي اختلف في هذا العالم؟! لقد قالت ريم بأنها رأت الدماء تسقط على الكرة البيضاء وكانت بالتالي تمتص الدماء! ذلك المشهد لم يغب عن ذاكرتي، أعتقد أن هذا يعني بأن تلك الكرة تقوم بالتغذي على الدماء وتحولها إلى طاقة!

ترى ما سرّ مصدر الطاقة ذاك، وكيف وصل إلى هذه العوالم؟!

حين يجتمع حبُّ الإنسان للسيطرة مع طاقة عظيمة فالناتج هو جنون لا يمكن تصوّره... في كلّ العوالم التي مررنا بها كان مصدر الطاقة سببًا رئيسًا في موت الكثير من

الجنس البشري، والعجيب في الأمر أنه يصبح أقوى كلما زادت الدماء التي يتذوقها! استيقظت في صباح اليوم التالي على صوت هيرفيس المتحمّس:

- «هيا أيها المبتدئ، حان وقت التدرّب على المبارزة»

لقد غرقت في النوم بعد التفكير في مساء البارحة، قلت لهيرفيس:

- «أليس الوقت مبكرًا جدًا؟!»

- «لقد فكرت في الأمر ووجدت أنك بحاجة للكثير من الدروس حتى تتقن المبارزة، سوف نتبارز عدة مرات في اليوم»

يا له من سبب نبيل كاذب، أنا أعلم أنه في الحقيقة يريد رؤية إدلين، ومن حسن حظه أنني أنا كذلك! لهذا سأتحمّل ألم مبارزته هذا الصباح...

تنهدت وقلت:

- «حاضر، أنا آتٍ»

حضّرت أموري وانطلقت لمكان التدريب، وحدّث ما حدث في اليوم السابق، قام هيرفيس بتمزيقي بوحشية وهو

يعطيني النصائح:

هيرفيس: «**لا زلت لا تمسك السيف جيدًا! وتوقف عن الهرب!**»

هيرفيس وقد كاد يثقب صدري: «**لا تدع مناطق ضعفك مكشوفة لدى الخصم!**»

هيرفيس وقد جعلني أطير في الهواء بضربة منه: «**توقع أين سيضربك خصمك لتعرف كيف ستصدها وتوجه له ضربة حاسمة!**»

سقطت على الأرض وانتهت المبارزة وأنا أحمد الله أنني لم أفقد أحدًا من أطرافي بسبب هذا المجنون...

نادى هيرفيس على إدلين بلطف وقامت هي بعلاج جراحي، قالت لي:

- «صحيح، أنت الحارس الجديد الذي تحدثت عنه أختي نيلدا، أليس كذلك؟»

- «أجل، أفترض أنها قامت بإعطائك الدواء»

أخرجت دواء فراس من صندوقها وأعطتني إياه، قالت لي:

- «هذا هو»

- «أريد سؤالك سؤالًا خاصًا نوعًا ما، هل هيرفيس يزعجك؟! إن كان يزعجك فأستطيع أخبار نيلدا وهي ستقوم بالتبليغ عنه و...»

همست في خجل وهي تنظر نحو هيرفيس:

- «أرجوك ألا تفعل هذا، الفارس هيرفيس لا يستحق هذا، إنه طيب القلب أكثر مما تتصوّر، وأنا... أنا...»

- «أنت معجبة بهيرفيس؟!»

بعد أن قلتها لها احمّر وجهها:

- «أ..أ...أ...أجل، لقد جرح وقتل المتدرّبين السابقين وهو يحاول أن يجعلني آتي لرؤيته بحجة علاجهم، هذا رومانسي للغاية»

يا لها من قصة حب أتمنى لو لم أكن حلقة الوصل التي تُمزق ليجتمعا! أكملت إدلين:

- «لكني لم أمتلك الشجاعة مثله لأعبرّ له عن ذلك، أرجوك ألا تخبر أحدًا، أخشى أن يؤذى لهذا أنا أحاول إخفاء إعجابي، أردت مرارًا أن أخبره بأنني مستعدة لأن أقبل حبّه وأهرب معه من المملكة لكني تراجعت خوفًا من الرفض منه والعقاب من الملك»

رحلت إدلين وهنا أمسكني هيرفيس من ياقتي ورفعني وقال بغضب بصوته الأجش:

- «ما الذي قلته لها؟! لمَ خرجت ووجهها محمر؟!»

- «أرجوك اهدأ يا هيرفيس»

- «سوف أهدأ بعد أن أقضي عليك، هل تتغزّل بإدلين؟!»

لقد اتخذ الأمر منحنى جديدًا من الأحداث، أمسك سيفه، فقلت له قبل أن يتهوّر بسيفه هذا:

- «اسمعني جيدًا... إنها معجبة بك، لكنها تخجل من الاعتراف بذلك»

وضع السيف على عنقي وقال:

- «هل هذا حقيقي أم أنك تكذب لتنجو بفعلتك؟»

هذا الرجل مجنون، قلت:

- «أقسم لك بأن هذا حقيقي، لقد قالت بأنها مستعدة للهرب من المملكة معك، لكنها تخاف عليك أن تسجن إن عرف أحد عن هذا»

فجأة سمعت صوت السيف قد سقط على الأرض، وشعرت

بأنني أطير في السماء، الأخ سعيد ويلقي بي كأنني طفل في السماء ثم يلتقطني ويعاود ذلك! وهو يردّد:

- «إنها معجبة بي... إنها تخاف عليّ، إنها مستعدة للهرب معي»

- «هل من الممكن أن تنزلني يا أستاذ هيرفيس؟!»

- «أجل، بكلّ تأكيد، أنت تلميذي المفضّل في النهاية»

ذهبت مع هيرفيس لتناول طعام الإفطار، كنت أفكر في الخطوة التالية، كيف سوف أصل إلى فراس؟ لا يسمح سوى للحراس برتبة فارس أن يدخل للسجن، قلت لهيرفيس الذي كان في مزاج رائق وسعيد:

- «كيف أستطيع أن أصبح فارسًا؟»

ضحك وقال بصوته الأجش:

- «أمامك طريق طويل، حتى إن أنهيت التدريبات، فالملك هو من يقرر من يصبح فارسًا أم لا، قائد الحرس يخبر الملك بكلّ شيء، وهو يرسل أوامره الحكيمة لنا عن طريق القائد»

إذن هذا غير ممكن، قلت لهيرفيس:

- «أنا بحاجة لأن أزور السجن، هناك صديق لي أريد أن

أودعه قبل أن يعدم اليوم، هل تستطيع مساعدتي؟!»

- «أول زيارة تكون بعد أن تنهي جميع تدريباتك، تحتاج لأربعة أشهر على الأقل لذلك»

وتجرّع من كأس العصير الذي بقربه...

هذا سيئ، لم يبقَ لي خيارات، لكن هيرفيس أكمل بعد أن انتهى من الشرب:

- «لكن أنت تلميذي المفضّل، لهذا هذه المرة فقط سوف أتجاوز عن كونك مبتدئًا وآخذك إلى هناك»

انطلقنا نحو السجن بعد ذلك، حين وصلنا تحدّث هيرفيس مع الحراس، ثم أتى وقال لي:

- «لديك فقط القليل من الوقت لتودع صديقك، هذا ما استطعت أن أوفره لك»

- «أشكرك، سيكون هذا أكثر من كافٍ»

حين دخلت رأيت أم الطفلة التي كانت معنا في العربة، كانت تجلس في حزن خلف قضبان السجن، قلت لها هامسًا:

- «ابنتك بخير، لقد عالجوها من الحُمّى، إنها مشتاقة لك ولوالدها»

ابتسمت وانسابت الدموع من عينيها وقالت:

- «أرجوك اعتنِ بها»

هززّت رأسي بالإيجاب وأنا أعلم أنني غير قادر على فعل هذا، أتمنى ألا تعدم، لكن إن حدّث ذلك فعلى الأقل تستحق أن يهدأ قلبها الخائف على ابنتها... وصلت إلى زنزانة فراس، كان مستلقيًا على الأرض، قلت له:

- «فراس، إنه أنا»

- «مازن! لقد تأخرت يا رجل، كنت أظن أنهم قبضوا عليك!»

- «للأسف لم يعدّ لدينا الكثير من الوقت، هذا هو دواؤك، ستكون في حال أفضل بعد استخدامه»

- «هذا جيد، أخبرني ماذا وجدت في هذا العالم»

أخبرته ملّخص ما جرى معي وما قالته ريم لي، حين انتهيت طلب مني أن أرجع عند نقطة المواد الكيميائية التي يُحقن البشر بها، قال:

- «ما هي تلك المواد الكيميائية بالضبط؟!»

- «هممم... دعني أتذكر ما قالته ريم... زرنيخ... هممم... حامض الكبريتيك وحامض النيتريك... وأشياء كهذه»

- «اسمعني جيدًا، أريد منك أن تحضر لي قوارير صغيرة فارغة وبعض من هذه المواد، بالإضافة لأي شيء من التالي»

وهمس لي بأسماء العديد من المواد الكيميائية، ثم أكمل:

- «واحذر أن يخلط شيء منهم بالآخر! يجب أن تحمل الحقيبة برفق وعناية»

قلت له:

- «لست متأكدًا أن أحضر هذا، لم يتبقّ الكثير من الوقت على بدء المراسم»

- «هل لديك خطة أخرى إذن؟!»

- «للأسف لا»

- «اسمعني جيدًا، المراسم ستكون قريبة من القصر الملكي، هذا يعني أننا لن نضطر للهرب كثيرًا لأن المهرب من هذا العالم أسفل القصر، قبل أن أعدَم قمّ بالتالي»

وقال جملة قصيرة لي ثمّ أتى هيرفيس وقال:

- «هيا بنا، لقد انتهى الوقت، من الأفضل أن نخرج قبل أن يلقوا القبض عليك»

عدت أنا وهيرفيس إلى منطقة الحراس، حين وصلنا قلت

لهيرفيس:

- «هل من الممكن أن تنادي الطبيبة إدلين؟!»

- «لماذا؟!»

- «أريد أن أسألها شيئًا؟»

- «للأسف يمنع أن تتواجد هنا من دون سبب»

- «هل تقصد...»

- «أجل... يجب أن يكون هناك مصاب كي تأتي»

- «أه.. فهمت قصدك!»

إنه يريد أن يقطّعني إذن... أخرجت سيفي بسرعة وجرحت هيرفيس في ذراعه... قلت:

- «أتقصد هكذا... يجب أن تتوقّع الهجوم المفاجئ... أليس هذا الدرس الأول... الآن نحن متعادلان»

ضحك الأخ وقال:

- «هذا جيد أيها المبتدئ، لم أتوقع هذا، لكن هذا الجرح لا يكفي سوى لرؤيتها خمس ثوان»

أخرج سيفه وبدأنا في النزال... الغريب أنني كنت هادئًا

ومستمتعًا وأنا أقاتل هيرفيس هذه المرة، في المرتين السابقتين كنت خائفًا أحاول تجنب الإصابة خوفًا من الموت، لكني الآن أراها لعبة بين صديقين يظهر كلّ منهم مدى احترامه لقوة الآخر بها، ربما هذا لأن هيرفيس لم يعد يحاول تقطيعي كما سبق أو أنني تعلّمت بعض المهارات منه!

في النهاية انتصر هو وأطاح بسيفي، قال وهو يبتسم لي:

- «لقد مرّ عليّ الكثير من التلاميذ أفضل منك بمراحل في المبارزة، لكن أنا فخور بتقدمك السريع هذا، أنت لم تهرب أو تجبن أمام سيفي كالمرات السابقة وشعرت بأن السيف كان جزءًا منك هذه المرة»

إنه بالفعل ذو قلب كبير، نادى بعد ذلك على إدلين، أتت وعالجته وكلا وجهيهما قد تلوّن للأحمر، همس لها:

- «هل أنت مستعدة لتهربي معي خارج المملكة لنتزوج في مملكة بعيدة ونبدأ حياتنا مع بعض؟»

أصبح وجهها كحبة طماطم وبعد إن انتهت من علاجه هزّت رأسها بالموافقة في خجل، استطاعت أن تتمالك نفسها قليلًا حين أتت عندي وقامت بمعالجتي، قالت (وهيرفيس يسمعنا):

- «لقد أخبرته إذن!»

- «لم يكن لدي خيار، لقد كاد يقتلني»

- «أشكرك لأنك أوصلت له ما أشعر به»

هيرفيس:

- «صديقي يريد أن يطلب منك مساعدة»

قلت: «**أجل، هناك أمر أنا بحاجة إلى مساعدتك، هناك مواد كيميائية أريد الحصول عليها**»

إدلين: «**مثل ماذا؟**»

أخبرتها بأسماء المواد التي أخبرني عنها فراس، قالت:

- «أنا أعتذر منك، هذه المواد لا تسمح بأن يحصل عليها سوى الأطباء، إن وجدوها معك فسوف تُعتقل»

- «أنا بحاجة لها بشدّة، إنه يتعلّق بحياة أو موت أصدقائي»

- «لكن...»

- «أرجوكِ... إن ريمونا هي صديقتي، ولا ترغب بالزواج من الماركيز، كما أن لي صديقًا في السجن يجب أن أخرجه، أنا فقط أريد هذه المواد لتساعدني على إنقاذها والهرب»

- «لكن هذه خيانة لأوامر وقوانين الملك!»

- «قوانين الملك تلك غير مبنية على أسس صحيحة وإنما على مصالح شخصية»

تبادلت النظرات مع هيرفيس، لقد عانت كثيرًا من هذه القوانين، نظرت نحوي وقالت:

- «حسنًا، سأحضرها لك، لكن أحتاج إلى حقيبة»

- «انتظري قليلًا»

أسرعت إلى غرفتي وأخرجت حقيبة فراس، وأفرغتها من الملابس المحترقة، أما القداحة فخبأتها في طرف حذائي، فملابس الحراس لم تكن تحتوي على جيوب.

عدت وأعطيت الحقيبة لإدلين وقالت:

- «سوف ألقاك قريبًا عند باب القصر الملكي في وقت المراسم، أتمنى أن أستطيع إيجاد كلّ ما طلبته دون أن يكشفني أحد»

هيرفيس: «**لكن هذا الوقت الذي سنهرب به**»

إدلين: «**لن أتأخر كثيرًا**»

قلت: «**أرجو هذا، فأمل النجاة مبني على توفر تلك**

المواد»

رحلت إدلين، وسألت هيرفيس:

- «هل ستهرب من المملكة مع إدلين في وقت المراسم؟!»

- «أجل، إنه أفضل وقت لذلك، فمعظم الحراس سيتجمعون عند المراسم ولن يتبقى سوى اثنين عند البوابة، ولن يكون الخروج وقتها عسيرًا عليّ، في الحقيقة معظم من هرب من المملكة قدّ استطاع الهرب في أحد أوقات المراسم»

- «أتمنى لك التوفيق أنت وإدلين»

- «وأنت أيضًا أيها المبتدئ، ما اسمك بالمناسبة؟!»

- «مازن»

- «السير مازن، سعيد بأنني تعرّفت عليك»

- «وأنا كذلك»

ودعّ كل منا الآخر وانطلق هيرفيس ليحضر متاعه للهرب، أما أنا فلم يعدّ الآن أمامي أيّ شيء أفعله سوى الانتظار....

عدتُ إلى غرفتي وصليت وأنا أدعو الله أنّ يوفقنا في رحلة الهروب التي لا نملك فيها الكثير من الوقت...

وهكذا وبعد ساعات... حلّ العصر!

كنت أقف أمام القصر الملكي وأنا أنتظر بتوتر وأتلفت باحثًا عن إدلين، المكان مكتظ، العامّة قد تجمهروا في الساحة ليروا المراسم، بينما يجلس طبقة النبلاء والأطباء على الشرفات القريبة من شرفة قصر الملك، بعد دقائق خرج الماركيز ريتشارد من شرفة قصر الملك وقام بتحية العامة:

- «إنّ الملك يرسل لكم تحياته، اليوم يومٌ عظيم، سوف يتمّ زفافي من الكونتيسة ريمونا، ولهذا أعلن عن بدء مراسم الزفاف بإحضار أصحاب الدماء الخاطئة وتطهير المملكة منهم»

وقف هيرفيس بقربي وسألني:

- «ألم تأتِ إدلين بعد؟»

- «نعم، لم أرها»

قاد أحد الحراس السجناء الذين رُبطوا بحبل وقد وُضِعَت عصبة على عيني كلّ واحدٍ منهم، ثم أوقفوا السجناء على مرأى من الماركيز والعامّة، قال الماركيز:

- «والآن ستأتي الكونتيسة ريمونا لنبدأ مراسم التطهير»

ثم نظر إلى الخلف، لكن ريم لم تظهر، خرج أحد الحراس للشرفة وهمس للماركيز بشيء، فصرخ الماركيز في خنق:

- «أحضرها رغمًا عنها»

بعد دقائق خرج إلى الشرفة ثلاثة حراس وهم يجرون ريم وهي تصفعهم وتركلهم، قال الماركيز:

- «أقسم إنك إن لم تتوقفي الآن فسوف أجعلهم يقطعونك إربًا»

توقفت ريم وهي تنظر بغضب لاهثة نحو الماركيز، أنا لم أرها بتلك الشجاعة من قبل! تلفت حولي، لم تأتِ إدلين بعد، هل أمسكوا بها؟! قال الماركيز:

- «والآن وقد أتت الكونتيسة ريمونا، نستطيع البدء في...»

قاطع كلام الماركيز صراخ فتاة صغيرة:

- «أمي... أرجوكم لا، لا تقتلوها»

كانت الفتاة الصغيرة نفسها التي كانت معنا في العربة، كانت تركض نحو أمها، قال الماركيز:

- «أبعدوها من هنا أيها الحراس»

أمسكها أحد الحراس وجرّها بعيدًا عن الساحة، قال

الماركيز:

- «أين كنا، أجل سوف نبدأ في...»

هنا قفز هيرفيس أمام الجميع، وقال مقاطعًا:

- «هل من الممكن أن ينتبه لي الجميع؟! أريد أن أقول للماركيز أنني أهنئه بهذه المناسبة، لقد عرفت الماركيز منذ أن كنت صغيرًا وأريد أن أشكره على...»

هل هيرفيس يحاول إعطائي بعض الوقت؟! إنه يتحّدث في الكثير من الأشياء ومنها أمور لا علاقة لها ببعض، وبعد أن انتهى من الكلام بدأ بعرض بعض مهاراته في استخدام السيف...

همس الماركيز لأحد الحراس ولم أحتج أن أسمع ما يقول، إنه يريد أن يتخلصوا من هيرفيس... نزل الحراس وأحاطوا بهيرفيس وهم يقولون:

- «أرجو أن تنزل سلاحك وتأتي معنا وإلا اضطررنا لاستخدام العنف»

هيرفيس: «**لقد أتيتم في الوقت المناسب حتى أريكم بعض مهاراتي**»

وبدأ في مبارزة الحراس، كان المشهد مهيبًا، صراع أسطوري بين وحش ضخم وعشرات البشر العاديين، لكن للأسف الكثرة تغلب الشجاعة، بدأت الطعنات والجراح تظهر على جسد هيرفيس!

- «أهذا هيرفيس؟!»

قالتها إدلين بقربي بصوت قلق وهي تلهث بسرعة..

- «إدلين... لقد تأخرتِ!! أعطيني المواد»

- «أعتذر على التأخر! لم يتركوا القاعة إلا قبل دقائق، ولم يكن لدي خيار سوى الانتظار، خذ... أنا ذاهب لعلاج حبيبي هيرفيس»

سقط هيرفيس على الأرض وقام الحراس بجرهِ، وتوجهت إدلين خلفهم لتعالجه، قال الماركيز:

- «لقد تخلصتم منه أخيرًا، لا بد أنه أفرط في الشرب، أيها الحراس، فلنبدأ مراسم التطهير»

تقدّم الحراس بسيوفهم، وهنا انتهيت من صنع الخليط الذي أخبرني فراس أن أصنعه وألقيت به وأنا أصرخ:

- «توقفوا!»

سقطت العبوة الصغيرة وسط الحراس، ونظر الجميع نحوي في عجب، لكن لم يحصل شيء...

كان هذا محرجًا، لقد قال فراس بعد أن أخبرني باسم المحاليل، أن أخلط نسبة قليلة جدًا من كلا هذين المحلولين وأن أرجَّ الخليط بسرعة ثم أرميه أمام الحرس، ربما كان المقدار الذي وضعته أقل من اللازم...

صرخ الماركيز:

- «اللعنة، ما خطبكم أيها الناس، أقبضوا على هذا...»

قاطع كلامه انفجار ضخم أطاح بالحرس في الهواء وصنع دخانًا منع الرؤية وأصاب من في الساحة من العامة بالهلع وبدأوا بالهرب...

تقدمت نحو فراس ومزّقت الحبل ثم أزلت العصبة، قال وهو يأخذ الحقيبة ويتفقد محتوياتها:

- «لقد تأخرت»

أعطيته القداحة التي كنت قد خبأتها في حذائي وبدأ بخلط بعض المواد ووضعها في العبوات الصغيرة الفارغة وهو يقول:

- «أيضًا وضعت أكثر من المطلوب في الخليط الذي رميته، لقد قلت لك القليل فقط! القليل فقط يعني قطرتين أو ثلاث، لكن على أي حال هذا جيد»

قبل أن نهرب قمت بفكّ قيد الأم وباقي الأسرى، بينما ألقى فراس بضع عبوات نحو الحراس الذي أتوا نحونا...

فراس:

- «هيا يا مازن، لا وقت لهذا! يجب أن نخرج ريم»

أمسكت عبوتين من يدّ فراس وسط حيرته وأعطيتها للأم وقلت لها:

- «هذه مواد متفجرة، استخدميها لتهربي من هنا أنت وابنتك، الفارس الذي كان يتحدث قبل قليل ليضيع الوقت سوف يساعدكم، اهربا معه»

- «أشكرك أيها الغريب، أشكرك»

انطلقت أنا وفراس نحو بوابة القصر الملكي، وفراس يرمي العبوات الصغيرة أمام الحرس، قلت:

- «أليس هذا مبالغًا به؟! هناك من يصاب بإصابات بالغة!»

- «ربما، لكنهم يمتلكون مصدرًا للعلاج وهمّ متقدّمون في

الطب، سأحرص على ألا يموت أحد»

صعدنا الدرج ووصلنا إلى مدخل غرفة العرش حيث الشرفة، لم يتردد فراس ورمى عبوة فأطاحت بالحراس الذين على الباب، دخلنا إلى غرفة العرش، وهناك توقفنا أمام الملك الجالس على العرش وبقربه الماركيز واقفًا وهو يمسك بريم وقد وضع سيفه على عنقها، قال:

- «إذن الأمر كما قلتِ أيتها الكونتيسة، إنهما قادمان من أجلك»

من خلفنا دخل قائد الحرس وهو ممسك بالطبيبة نيلدا وقد وضع هو الآخر السيف على عنقها، ثم دخلت الطبيبة الكبرى وأقفلت الباب الذي وقف خلفه عشرات الحراس، قالت:

- «لم نجد إدلين، فأحضرنا أختها، لقد رأتها إحدى الطبيبات تتحدث معك أيها الحارس البارحة»

الماركيز:

- «إن قمتم بأيّ حركة فلن نتردد بتمزيق حنجرة الفتاتين»

اللعنة، لقد أحاطوا بنا، كان فراس يتعرّق، إنه يشعر بالألم من جرحه الذي عاد ينزف، لقد خسرنا!

لكن ربما هناك خيار واحد... الملك، إنه السلطة العظمى هنا وأن أقنعته بأن يطلق سراحنا فقد نهرب من هذا الموقف العصيب.

كان الملك ينظر نحونا في صرامة كما وصفته ريم، قلت له:

- «أيها الملك العظيم، كلّ ما نريد هو الرحيل بسلام من هنا، ريم... أقصد ريمونا لا تنتمي لهذا العالم، ونحن نرحل منه دون أن نرجع أبدًا»

لم تتغير ملامح الملك، بينما ضحك الماركيز والطبيبة الكبرى، تقدّمت الطبيبة ووقفت بقرب الملك، مدّت يدها، فأمسك الملك بيدها، ثم أنزلته ومشت به بعيدًا عن العرش، كان المشهد أقرب لمدرّبة قردة تنزل القرد من على شجرة!

وضعت الملك على الأرض وأخرجت من أحد الصناديق بقربه طعامًا له فبدأ يأكل بهمجية!

ثم عادت وجلست على العرش وقالت:

- «لقد عبثنا برأس الملك منذ فترة طويلة، لم نبقِ في دماغه سوى المناطق المسؤولة عن العمليات الحيوية الأساسية، إنه مدرّب كقردّ حتى يحافظ على نفس الهيئة الصارمة أمام العامّة، ويتصرّف كأنه يتكلّم ويهزّ رأسه بالأمر

الذي نطلبه منه ثمّ حين يخلو المكان نعطيه طعامًا كمكافأة له، هذا الحال منذ قرابة ثلاثمائة عام! نحن حكام المملكة الحقيقيون، ونحن من يصدر أوامر الملك المطلقة، ونحن نرفض رحيلكم، لقد خالفتم قوانيننا ويجب أن تعدموا»

قلت:

- «لمَ كلّ هذا؟»

- «الملك هو رمز العظمة لمعظم من في المملكة، الناس يهابونه، لكن أيضًا من يلام على الأخطاء، ومحاولات الاغتيال تكون موجهه له، ومهما جرى فنحن نحصل على ما نريد بينما نستمتع بالسلطة في الخفاء، وهو مجرد أداة قابلة للاستبدال...»

قائد الحرس: «**هناك عشرات الحراس يقفون خلف الباب، وهم ينتظرون أمرًا منا ليقتحموا المكان**»

الماركيز: «**إذن اطلب منهم أن يدخلوا**»

الطبيبة الكبرى: «**ليس الآن، البارحة أرتني نيلدا كرة المعدن الصغيرة التي كانت في بطن ذلك الشاب، أثار ذلك فضولي، أيّ سلاحٍ ذلك يطلق هذه الكرة الخفيفة بقوة وحرارة عالية! لهذا لم يصبني العجب حين قال بأنه ليس**

من هذا العالم، أريد أن أعرف أكثر، أريد أن أعرف إن كنت قادرة على السيطرة على عوالم غير هذا! أريد أن أحظى بكلّ العلم المخبأ في تلك العوالم!»

قال فراس لي في ضعف بسبب النزيف:

- «في العادة، عندما أتعامل مع مشكلة يا مازن، أتعامل معها كأنها لعبة شطرنج، أبحث عن نقطة ضعف لأهزم الخصم، لكن هذه المرة لم تعدّ هذه لعبة عادلة، حتى لو هزمت الملك فلن تنتهي اللعبة، لا مجال لنا للفوز سوى بأن نضحي ببعض القطع، سامحني يا مازن، يجب أن نضحي بالطبيبة نيلدا، ونركز فقط على إنقاذ ريم، هذا... إن استطعنا ذلك»

ماذا تقول يا فراس؟!

- «أنا لن أضحي بأيّ شخص، خاصة إن كان لا علاقة له بكلّ هذه الفوضى!»

- «العالم ليس مثاليًا يا مازن، لن تحدث كلّ الأشياء كما نريد، ولا بد من أن نقبل خساراتنا مهما عظمت لتستمر بالحياة»

- «أعلم هذا، لكن إن كان الأمر لم يحسم بعد فأنا أرفض أن أضحي بأحد»

قالت الطبيبة الكبرى:

- «توقفا عن الهمس مع بعضكما، وأخبراني كيف وصلتما إلى هنا؟!»

- «سأخبرك، إن وعدتنا ألا تؤذي أحد منا»

- «حسنًا، لن أعدم أحدًا منكم إن أخبرتني بكلّ شيء»

الماركيز:

- «لكنهم عرفوا الكثير»

الطبيبة الكبرى:

- «أعلم أيها الغبي! بالطبع لن أتركهم يخرجون من السجن»

اللعنة، لقد سقط فراس على ركبته من التعب، ولم يبقَ لي خيارات، هل أقبل بأن أضحي بنيلدا؟! لا، أفضل أن أُقتل أنا على أن أضحي بحياة شخص بريء من أجلي!

- «اطردوا رفاقي خارج المملكة من دون أن تؤذوهم وخذوني أنا سجينًا وسأخبركم بكل ما تحتاجون له!»

الطبيبة الكبرى:

- «أرفض هذا!»

اللعنة، لقد نفدت جعبتي من الأفكار، ربما لا خيار آخر سوى ما قاله فراس...

سمعنا صوت انفجار من خلف الباب، نظرت لفراس، أهو من قام بهذا، لا أظن لأنه كان ينظر بعجب للخلف ونحوي، فُتح الباب بقوة، وقفز منه هيرفيس ليلكمّ قائد الحرس ويسقطه أرضًا ثم سحب نيلدا من يده وصرخ:

- «أيها اللعين، كيف تجرؤ على لمس أخت حبيبتي إدلين؟!»

عَلَت نظرت صدمة على وجه نيلدا مما سمعته لكنها تمالكت نفسها لأن الموقف لا يسمح لها بالغضب!

في هذه الثواني القليلة استغل فراس الموقف ورمى بعبوة بقرب الماركيز، فانفجرت وجعلته يسقط على الأرض هو وريم...

عند الباب بعد أن انسحبت سحابة الدخان كانت تقف إدلين والمرأة وابنتها، لقد استخدموا إحدى العبوات التي أعطيتهم إياها للهروب، قلت وأنا أكاد أن أبكي من الفرح:

- «أيها الحمقى، كان يجب أن تهربوا، لا أن تساعدونا!»

وقف قائد الحرس وبدأ بمبارزة هيرفيس الذي قال:

- «نحن لن نترك صديقًا لنا في ورطة، كما أنني لن أقبل بأن أرى إدلين حزينة على أختها»

هنا انتبهت إلى أن الماركيز قد وقف وأمسك سيفه وهو يمشى نحو ريم التي أغمي عليها، رفع سيفه، وانقض ليتفاجأ بسيفي أمامه، قلت له:

- «يا لك من نبيل تهجم على فتاة فاقدة الوعي»

- «جميعكم سوف تموتون، لقد حكمت عليكم بالإعدام الآن، ولا بأس بأن أقتلك أنت أولًا»

وبدأت المبارزة بيننا، الماركيز ذو عمر مائة وأربعين عامًا ضدي أنا الذي أعتبر طفلًا رضيعًا في مقابل عمره، كان سريعًا، أسرع من هيرفيس، وكنت أحاول أن أدافع عن نقاطي الحيوية بينما الجراح تتزايد على جسدي، صرخ هيرفيس:

- «لا يهم من تبارز أو مدى الفرق في الخبرة، فقط تذكر درسك الأخير»

ما كان درسي الأخير؟! صحيح... توقع أين سيضربك خصمك لتعرف كيف ستصدها وتوجه له ضربة حاسمة!

هدأت، أنا في تلك الحالة التي كنت بها في عالم شجاع

حين قاتلت الضبع المتوحّش، كلّ شيء يمرّ بزمن أبطأ قليلًا، صنعت ثغرة في دفاعي، الماركيز، إنه يبتسم، ينظر نحو قلبي، يريد أن يخترقه، يرجع سيفه للخلف، ثم يطلقه كرصاصة!

بسرعة رفعت سيفي، فأطحت بسيفه في الهواء، وسقط بقربه، ثم وضعت سيفي أمام عنقه وقلت وأنا ألهث:

- «لقد خسرت أيها الماركيز، استسلم...»

- «حسنًا، حسنًا، لقد انتصرت، لكن رفيقك الضخم قد خسر بسبب جراحه»

تلفت نحو هيرفيس، لا زالت المعركة مستمرة، نظرت نحو الماركيز الذي أمسك سيفه ورفعه، اللعين لقد نجح في إلهائي بخدعةٍ سخيفة!

كاد أن يوجه لي ضربة قاتلة لكن سقط الماركيز متألمًا! هناك من ركله بقسوة في قدمه!

كانت ريم خلفه، ركلت سيفه بعيدًا ثم بدأت تركله بلا رحمة وتلكمه في وجهه وهي تشتمه بينما الدماء تسيل من وجه الرجل!

انتصر هيرفيس رغم جراحه على القائد الذي سقط مغمى

عليه، كان هيرفيس سعيدًا وهو يستعرض قوته أمام إدلين!

هنا ضربت الطبيبة الكبرى بيدها على العرش وقد سقطت بقربها قارورة فارغة، يبدو أنها قد شربت شيئًا ما، قالت بصوت تحوّل من بشري إلى وحشي:

- «هذا يكفي، لقد كنت غبية بالاعتماد على أبنائي الحمقى، كان يجب أن أقتلكم بيدي أنا»

أسرع هيرفيس وانقض بالسيف عليها، لكنها أوقفت النصل بأصابعها ثمّ كسرته! أفلت هيرفيس السيف، ولكم الطبيبة الكبرى في وجهها، فتراجعت الطبيبة قليلًا، ثم لكمت هيرفيس الذي طار في الهواء رغم ضخامة جسده وارتطم في الحائط وبدأت الدماء تسيل من فمه!

«**هيرفيس!**» صرخت إدلين وأسرعت نحوه.

قلت: «**ما الذي يجري هنا؟!**»

الطبيبة الكبرى:

- «هل كنت تظن أننا سنقف عند الأدوية العلاجية والتلاعب بالدماغ وإكسير الحياة! لقد وجدنا أكثر من ذلك، لقد وجدنا موادًا تستخلص من أدمغة البشر عند تعريضه لألم كبير، لسنوات كنت أجمع هذه المادة لأصنع هذا المحلول

المركز، القليل منه يكفي لجعل الإنسان أفضل وأقوى بعشرات المرات، الآن سوف أمزق رفاقك وأتركك للنهاية لتخبرني بكلّ شيء»

لقد أصبحت الأمور معقدّة، فراس وهيرفيس مصابان، تقدّمت الطبيبة نحوي، لم أعد أشعر أنها بشريّة بنظراتها المخيفة، قالت:

- «من يريد الموت أولًا منكم؟! أنت»

وأشارت نحوي، لا أعرف ماذا سأفعل؟ أنا ميت لا محال، هنا صرخت ريم وقد ألقت بحذائيها على الطبيبة الكبرى:

- «أيتها القبيحة، تعالي ونالي مني!»

- «كما تريدين»

ماذا تفعلين يا ريم؟!

ركضت ريم نحو الشرفة، وبدأت تصرخ للعامّة:

- «الملك مزيف، لقد خانكم الماركيز وقائد الحرس والطبيبة الكبرى، إنهم من يحكمون القلعة»

وقف الناس قليلًا ثم أكملوا في لا مبالاة!

قالت ريم:

- «ما بالكم! لقد تلاعبوا بكم؟!»

أشارت لأحدهم:

- «أنت أيها الأحمق ذو الملابس القروية المتسخة! لقد كذبوا عليك! لمَ لا تغضب»

قال الرجل بصوت مرتفع:

- «نحن لم نرَ الملك في حياتنا! وهذا لا يهمنا! طالما الآخرون يتبعون القانون فسأفعل مثلهم، وطالما آكل قوتي وأحتسي الشراب في نهاية اليوم فهذا يكفي»

خرجت الطبيبة الكبرى من الشرفة وقالت:

- «أنت تهدرين طاقتك من دون جدوى، لقد قبلوا الحياة التي يعيشونها، لقد وفرنا لهم أساسيات العيش وهم سعيدون بذلك»

مدّت الطبيبة الكبرى يدها وريم تحاول الهرب منها، لكن الطبيبة الكبرى أمسكت شعر ريم، قالت:

- «استعدي لإعدامك أمام العامة»

قالت ريم:

- «ليس الآن!»

ثم خلعت الشعر المستعار وسط دهشة الطبيبة الكبرى وهربت ريم نحوي!

قال فراس بضعف:

- «ارمِ الحقيبة الآن يا مازن»

صحيح، لقد حذرني من ألا أخلط المواد ببعض وأن أكون حريصًا على محتويات الحقيبة، أمسكت الحقيبة وألقيتها بكل قوتي نحو الشرفة قبل أن تخرج منها الطبيبة الكبرى، وكان الانفجار مهولًا!

سقطت الشرفة بالطبيبة الكبرى وانهار جزء من جانب القصر عليها!

توجهت نحو الفتحة التي صنعها الانفجار، لقد دفنت الطبيبة الكبرى في الأسفل، لكن هل أنا أتخيّل أم أن الحجارة تتحرّك، بالفعل، إنها تتحرك، إن الطبيبة تحاول النهوض!

أمسكت فراس وقلت له:

- «يجب أن نهرب الآن»

ساعدته على النهوض وتوجهنا أنا وهو وريم نحو

هيرفيس، قالت إدلين التي كانت تبكي:

- «إصابته خطيرة، لكنه سيعيش»

قال هيرفيس في ضعف:

- «أنا لن أموت يا إدلين إلا بعد أن نحظى بعشرات الأبناء والأحفاد»

احمّر وجه إدلين كحبّة الطماطم، أما نيلدا قالت في غضب:

- «لا وقت لهذا، يجب أن نخرج ونخبر الجميع بالحقيقة»

قلت:

- «أشكركم جميعًا، لقد ساعدتمونا كثيرًا، للأسف لا وقت لدينا للحدّيث، أتمنى لك حياة سعيدة يا هيرفيس وإدلين»

هيرفيس:

- «وداعًا يا سير مازن، آمل أن نلتقي ونتبارز في القريب»

- «وأنا أيضًا، وداعًا يا هيرفيس»

ابتسمت وغادرت أنا وريم وفراس، بينما خرج هيرفيس بمساعدة إدلين ونيلدا، مع الأم وابنتها من القصر، قالت ريم:

- «أرجو أن تنتظر قليلًا، لا يمكن أن أغادر من دون أن أفعل

هذا الشيء»

ثم غادرت في عزيمة إلى إحدى الغرف وسط تعجبي، في البداية سمعت صوت صفعة قوية، تبعها صوت تمزق، ثم صوت صراخ مرتفع، ثم بكاء وعويل! ثم عادت ريم وهي تمسك بكتلة كبيرة من شعر ممزق، قالت لاهثة:

- «الآن ارتحت، تستحق سيدة القصر هذا!»

شعرت بالخوف من ريم! أهذه هي الفتاة البريئة الضعيفة التي كانت تبكي طوال معرفتي بها!

دخلنا الدهاليز وتوجهنا نحو مصدر الطاقة، كان الحراس يتبعوننا، من الجيد أن القاعة كانت خالية من الحراس، أسرعنا وتوجهنا إلى مصدر الطاقة، هنا شعرت بجراحي تلتئم، ورأيت فراس يستعيد وعيّه، لقد توقف النزيف، بدأ بوصلة النجاة بتمزيقنا إلى ذرات، ونحن نشاهد العالم يسرع ويبطئ من عين الصقر...

لقد حاولت نيلدا إخبار النبلاء والعامّة بالحقيقة لكن لم يهتم أحد، ولم يعدّ لها خيار سوى أن تهرب مع أختها، نجح هيرفيس ونيلدا وايدلين بالهرب مع الأم وطفلتها والعديد من السجناء أيضًا، فالصخب الذي قمنا به جمع كل الحراس

في القصر الملكي... وبعد أن خرجوا... التقت الأم وطفلتها بالأب الذي كان يجلس عاجزًا خارج أسوار القلعة في مشهد مؤثر... أما داخل المملكة فخرجت الطبيبة الكبرى من بين الحطام بإصابات وبدأت تطقطق جسدها بطريقة غير آدميّة، وطلبت من الحراس أن يلقوا القبض على الهاربين قبل أن تتوجه إلى سحابة الطاقة لتعالج نفسها...

لم يستطع الحراس إلقاء القبض على الهاربين فلقد ابتعد هيرفيس والآخرون مسافة جيدة...

انتقل المشهد إلى هيرفيس، بعد أيام يشفى هيرفيس ويبدأ رحلة هو والآخرون نحو المملكة البعيدة، يصلون بعد أشهر للمملكة ما، وهناك تقوم نيلدا بتعليم الطب للناس بينما تعالج إدلين المرضى... ولم يعد هناك حاجة لأهل هذه المملكة للذهاب إلى مملكة ريد تري الظالمة.

تمرّ عشرات السنين أمامنا ونرى هيرفيس يلعب مع أبنائه وهم يقفزون على ذراعه بينما يضحك هو مع إدلين...

لكن لم تتغيّر مملكة ريد تري وأكمل الناس العيش فيها راضين بقوانين المملكة الظالمة...

يقول أبو الطيب المتنبي:

«من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح في ميت إيلام»

وهنا تلاشينا من هذا العالم لنرحل إلى مغامرة مجهولة مليئة بالمخاطر في عالم مختلف!

نلقاكم بإذن الله في العدد القادم

لمتابعة جديد أعمال الكاتب على صفحة الفايسبوك

facebook.com/enghamzazayed

goodreads.com/hamzazayed

---

(1) فقط لتذكير القراء المتابعين، إن كنت جديدً على السلسلة من الأفضل أن تقرأ من بداية الأعداد...

(2) عزيزي القارئ الجديد للسلسلة... تستطيع البدء من بعد هذه الفقرة.

(3) راجع نهاية العدد الثالث

(4) تعقيم اليدين أمر جديد نسبيًا عند البشر، مثلًا هناك قصة الطبيب أجناتس سيملفيس الذي كان سببًا في جعل الأطباء يعقمون أيديهم في عام ١٨٤٧م! قبل هذا كانت تجرى عمليات جراحية من دون أدنى اتباع

لوسائل النظافة الصحية، بالطبع بعد أن اقترح تعقيم اليدين قابله الأطباء بالغضب من اقتراحه وتجاهلوه، لكن بعد وفاته بسنوات قليلة أثبت عالم آخر صحة قوله واتبع الجميع كلام سيملفيس...

(5) يسمى بضفدع الطين،أقدامه أقصر من الضفدع ويفرز سمًّا ذا طعم سيئ لا يشجع المفترسين على أكله!

(6) أم أربع وأربعين بالعامية

(7) يخزن جسم الجمل الماء في دمه وله قدرة على تكرير المياه الموجودة في كليّته.

(8) الإبل هي الكائن الوحيد القادر على شرب المياه المالحة وتستطيع كليتها أن تنقي ذلك الماء من الأملاح...

(9) سرعة الحوت الأحدب في الحقيقة تصل لمعدل ٤٧ ميل في الساعة.

(10)

(11) كل المعلومات السابقة عن كازينسكي هي حقيقية، وما يلي هو أحداث ليست من عالمنا.

(12) أسماء لأطباق روسية مشهورة!

(13) في العدد الأول

(14) نهاية العدد الثاني

(15) الحريش الصيني ذو الرأس الأحمر يمكن أن يصل عدد سيقانه إلى ٣٠٠ ساق، وهو كائن سريع للغاية وعنيف جدًّا، وعادة ما يهاجم كل كائن حي يعترض طريقه. ولهذه الحشرة القدرة على تلقيح السم العصبي القوي، الذي يؤدي إلى إيقاف قلب الصراصير والديدان والحلزون والسحالي الصغيرة والثعابين، وحتى الفئران والجرذان والخفافيش. كما أن هذا الكائن قادر على قتل الحيوانات الأكبر منه حجمًا حتى بحوالي ١٥ مرة.

(16) عليه السلام

(17) احتمالية دماء الأبناء من AB وAB هي ٢٥٪ A و٢٥٪ B و٥٠٪ AB

(18) إن زواج اثنين من فصيلة A أو اثنين من فصيلة B يعطي احتمالية بأن يكون دم الأبناء O بنسبة ٦٪ تقريبًا ونفس فصيلة الوالدين ٩٤٪، وزواج فصيلتي دم مختلفة A وB تعطي نفس نسبة O لكن هناك احتمالية لدم AB بمقدار ٥٦٪ واحتمالية ل A ٢٥٪ وB ٢٥٪

(19) زواج o وo ينتج ١٠٠٪ O زواج O مع A ينتج أبناء باحتمالية ٢٥٪ O و٧٥٪ A والشيء نفسه مع B زواج O مع AB يعطي نسبة ٥٠٪ A و٥٠٪ B

(20) أحد فحوصات المختبرات الحالية هو أخذ عيِّنة دم من الشخص الذي نريد تحديد فصيلة دمه.

تُوضَع قطرات من الأجسام المضادة لـ A على إحدى قطرات الدم.

وتُوضَع قطرات من الأجسام المضادة لـ B على قطرات أخرى. وبحسب نتيجة تجلط الدم بعد وضع الأجساد المضادة تُعرف فصيلة الدم:

	تجلط من الأجسام المضادة A	عدم تجلط من الأجسام المضادة A
تجلط من الأجسام المضادة B	AB	A
عدم تجلط من الأجسام المضادة B	B	O

(21) الجزء الأول

(22) يسمى أيضًا بالشاعوب، وهو أداة زراعية تتكون من مقبض طويل مثبتٌ عليه شوكة كبيرة ويستخدم لرفع العشب والتبن.